لِفتا: سِجلّ شعب

التّاريخُ والتّراثُ الثّقافيّ والنّضال

نظمي الجعبة

وبمساهمة من: رنا بركات، خلدون بشارة، يعقوب عودة

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

مؤسسة عربية مستقلة تأسست عام 1963 غايتها البحث العلمي حول مختلف جوانب القضية الفلسطينية والصراع العربي – الصهيوني. وليس للمؤسسة أي ارتباط حكومي أو تنظيمي، وهي هيئة لا تتوخى الربح التجاري.

وتعبِّر دراسات المؤسسة عن آراء مؤلفيها، وهي لا تعكس بالضرورة رأي المؤسسة أو وجهة نظرها.

شارع أنيس النصولي – متفرع من شارع فردان
ص. ب.: 7164 – 11
الرمز البريدي: 2230 1107
بيروت – لبنان
هاتف: 804959–1–00961. فاكس: 814193 –1–00961
هاتف/فاكس: 868387 –1–00961
E–mail: ipsbeirut@palestine–studies.org
http: / /www.palestine–studies.org

INSTITUTE FOR PALESTINE STUDIES
Anis Nsouli Street, Verdun
P.O. Box: 11–7164
Postal Code: 1107 2230
Beirut – Lebanon
Tel.: 00961–1–804959. Fax: 00961–1–814193
Tel. & Fax: 00961–1–868387
E–mail: ipsbeirut@palestine–studies.org
http://www.palestine–studies.org

يَسُرُّ مؤسّسة الدّراساتِ الفِلسطينيّة
أن تُعرِبَ عَنْ بالغِ تَقْديرِها وَشكرِها
لِهيئةِ حِمايةِ المورُوثِ الثقافي
لِبلدةِ لِفتا - القُدس
عَلى تَقْديمِها مِنْحةً أتاحَتْ
إصدارَ هذا الكِتابِ

شكر وتقدير

يسر أهالي لفتا، ممثلين بهيئة حماية الموروث الثقافي لبلدة لفتا، أن يعربوا عن بالغ شكرهم وتقديرهم لآل مشعل وآل عودة على عطائهم بتمويلهم إصدار هذا الكتاب.
كما تعبّر هيئة حماية الموروث الثقافي لبلدة لفتا - القدس عن كبير اعتزازها وتقديرها لابن لفتا البار المهندس ربحي أسعد (أبو أسعد) على صدق انتمائه وعطائه لوطنه.

هذا الكتاب يمثل المحاولة الأولى لتوثيق الموروث المعماري في الجزء المستهدف من لفتا، جاء ضمن ما هو متوفر ومتاح في ظل شتات أهلنا. نعتذر عن أي خطأ أو نقص غير مقصود، والأمل معقود على بنات وأبناء لفتا مواصلة البحث والدراسة لكل لفتا استباقاً لكل ما يهدف ويخطط له الاحتلال الإسرائيلي من طمس ومحو ما تبقى من معالم هذه البلدة العريقة.

هيئة حماية الموروث الثقافي لبلدة لفتا-القدس

لِفتا: سِجلّ شعب

التّاريخ والتّراث الثقافي والنّضال

Liftā: Sijil sha‘b
Al- tārīkh wa al-turāth al-thaqāfī wa al-niḍāl
Naẓmī al-Ju‘bah
Ranā Barakāt, Khaldūn Bishārah, Ya‘qūb ‘Aūdah

Lifta: Register of a People
History, Cultural Heritage, and Struggle

Nazmi al-Jubeh
With contributions:
Rana Barakat, Khaldoun Bishara, Yacoub Odeh

تصوير: نظمي الجعبة وعيسى فريج
تصميم: مجدي حديد / i print

© **حقوق الطباعة والنشر محفوظة**
ISBN 978-614-448-074-8

الطبعة الأولى - بيروت
كانون الأوّل/ديسمبر 2020

لِفتا: سِجلّ شعب

التّاريخُ والتّراثُ الثّقافيّ والنِّضال

نظمي الجعبة

وبمساهمة من: رنا بركات، خلدون بشارة، يعقوب عودة

مؤسسة الدراسات الفلسطينية
Institute for Palestine Studies

إهداء

إلى كلّ المهجّرين والمقتلعين
من بيوتهم ...
سيأتي اليوم .

نظمي الجعبة، أستاذ التاريخ في جامعة بيرزيت. تخرج من جامعة بيرزيت في فلسطين وتوبنغن في ألمانيا. وكان مديراً للمتحف الإسلامي – المسجد الأقصى، ومديراً مشاركاً لرواق – مركز المعمار الشعبي، ويشغل حالياً منصب مدير متحف جامعة بيرزيت. شارك في أغلبية مشاريع توثيق التراث الثقافي المادي في فلسطين، ويُعتبر خبيراً بالتراث الثقافي وشؤون القدس والخليل، ونشر عدداً كبيراً من الكتب والمقالات عن هذه الموضوعات.

خلدون بشارة، مهندس معماري ومتخصّص بحفظ المواقع التاريخية. يشغل حالياً منصب مستشار في مركز رواق - رام الله، حيث عمل منذ سنة 1994 على توثيق التراث المعماري وترميمه وحمايته. نال درجة بكالوريوس في الهندسة المعمارية من جامعة بيرزيت (1996)، ودرجة ماجستير في الحفاظ على البلدات والمباني القديمة من جامعة لوفان الكاثوليكية، بلجيكا (2000). كما نال شهادة ماجستير (2009)، ثم دكتوراه في الأنثروبولوجيا من جامعة كاليفورنيا في أرفين، الولايات المتحدة الأميركية (2012).

رنا بركات، أستاذ مساعد في دائرة التاريخ في جامعة بيرزيت، تتمحور أبحاثها حول تاريخ وتأريخ الكولونيالية، والقومية، والمقاومة الثقافية. حصلت على دكتوراه من جامعة شيكاغو، وظهرت لها مجموعة من المقالات في مجموعة من المجلات منها: Journal of Palestine Studies; Jerusalem Quarterly; Settler Colonial Studies; Native American and Indigenous Studies. وتعمل حالياً على نشر كتاب تحت عنوان: Lifta and Resisting the Museumification of Palestine: Indigenous History of the Nakba

يعقوب عودة، ولد في لفتا سنة 1940؛ هُجر مع عائلته قبل أن يستقر في القدس. كان عضواً ناشطاً في حركة القوميين العرب. درس الحقوق في جامعة بيروت العربية، ثم عمل في تلفزيون الكويت خلال الفترة 1963-1966. كما عمل مدرساً في الكلية القبطية الأرثوذكسية، وفي مدرسة الشهيدة دميانة في القدس (1966 - 1969). في سنة 1969 أصدرت المحكمة العسكرية الإسرائيلية بحقه ثلاثة أحكام بالسجن المؤبد، وأُطلق في سنة 1985 في اتفاق الجليل لتبادل الأسرى. في سنة 1986 عمل باحثاً في مركز المعلومات الفلسطيني لحقوق الإنسان في القدس (جمعية الدراسات العربية)، ثم في مركز أبحاث الأراضي في القدس (1996-2020)، وتخصص بقضايا حقوق الإنسان والسكن في القدس. وهو من المدافعين العنيدين عن لفتا، ورئيس هيئة حماية الموروث الثقافي لبلدة لفتا المهجرة.

المحتويات

مقدمة **1**

القسم الأول

نظمي الجعبة

لفتا: المكان والزمان:

دراسة في التاريخ الحضاري

الفصل الأول: النكبة والمكان والذاكرة **7**

أولاً: توثيق النكبة 11

ثانياً: توثيق المكان (الفضاء) 15

الفصل الثاني: توثيق لفتا: بين المخططات الإسرائيلية والحماية **31**

أولاً: لفتا من جديد 31

ثانياً: توثيق قرية لفتا: حفظ الذاكرة المادية (الآثار والعمارة والمشهد الثقافي) 39

ثالثاً: لفتا والمخططات الإسرائيلية 43

الفصل الثالث: موقع لفتا وتاريخها **65**

أولاً: الموقع 65

ثانياً: تاريخ لفتا 72

ثالثاً: التهجير 98

الفصل الرابع: التطور المعماري والتخطيط الحضري والبيئة **113**

أولاً: التطور المعماري 113

ثانياً: التركيبة الحضرية 131

ثالثاً: معالم عامة 163

أ) النبع والبركة والقنوات 163
ب) المسجد ومقام سيف الدين 168
ج) الكُتَّاب والمدرسة 177
د) المقبرة 178
هـ) معاصر الزيت 178
و) الكتل المعمارية 180
ز) أنواع المباني 181
ح) البيئة في لفتا 184

المراجع 197

أولاً: باللغة العربية 197
ثانياً: باللغات الأجنبية 201
ثالثاً: باللغة العبرية 203
رابعاً: الروابط والصفحات الإلكترونية 204

القسم الثاني

رنا بركات

ذاكرة الشعب، أيام بلدنا **209**

مقدمة **211**

أولاً: حياة جماعية: جغرافية قرية 212

ثانياً: اقتصاد التقدم: فوقا/تحتا والتغيير بصفته «تقدماً» 215

ثالثاً: حين تلاقي الجغرافيا الاقتصاد: الأرض والحياة 218

رابعاً: الحياة اليومية: من المهد إلى اللحد، مروراً بالمدرسة، والعمل، والزواج 218

خامساً: الموت والكرامة 221

خلاصة: من الجمعي إلى الفردي **224**

القسم الثالث

خلدون بشارة

علاليّ على وادي الشامي:

نظرة تحليلية إلى ما تبقى

من عمارة قرية لفتا المهجَّرة **227**

مقدمة **231**

أولاً: التشكيل الحضري لقرية لفتا 231

ثانياً: الأنماط المعمارية في قرية لفتا 233

1 – بيت العقد (البسيط) 234

2 – البيت الفلاحي ذو المستويات 236

3 – البيت الممتد الطولي 240

4 – البيت المجمع 242

5 – البيوت المركبة 246

6 – الإنشاءات الصناعية 254

ثالثاً: العناصر المعمارية والتفصيلات الزخرفية في بيوت لفتا 258

1 - أعمال الحجر والنقوش 260

2 - الشباك المِجوز 262

3 - التفصيلة الثلاثية للأبواب 264

4 - شبابيك مفردة 266

5 - مداخل مميزة 266

6 - النقوش الكتابية 268

7 - الأعمال المعدنية الزخرفية 268

8 - الجُدر الداخلية، العقود، الأعمال الخشبية والطراشة والألوان 272

خاتمة 275

القسم الرابع

يعقوب عودة

لفتا: قصة وطن 277

مقدمة **281**

أولاً: لفتا والاستعمار الاستيطاني 281

أ - المخطط رقم 6036 (مي نفتوح) 283

ب - المخطط رقم 6885 (متسبيه رموت) 285

ج - مخطط بناء سكن خاص رقم 6576 285

د - مخطط توسيع مستعمرة رمات شلومو 286

هـ - مخطط منشآت رياضية 286

و - حديقة أطفال 287

ز - مخطط «وجه آخر للقدس» 287

ثانياً: توثيق الموروث المعماري والمشهد العام في لفتا 287

ثالثاً: نضال أهل لفتا للمحافظة على قريتهم 289

أ - الكتابة عن لفتا 289

ب - ميادين العمل والعطاء 290

ج - المسار القضائي في المحكمة للاعتراض على عطاء بيع أراضي
لفتا (النضال القانوني) 297

خاتمة: لفتا تولد من جديد **300**

شكر وتقدير **301**

الملاحق **303**

مخططات التوثيق المعماري 317

فهرست 343

قائمة اللوحات والمخططات والخرائط والجداول

اللوحات

اللوحة رقم 1 مهجَّرو دير ياسين بعد المذبحة 13

اللوحة رقم 2 مفتاح العودة 16

اللوحة رقم 3 لفتا، رسم ألماني، بحيث رُبطت لفتا بسِفْر يوشع، سنة 1898 17

اللوحة رقم ٤ صورة مجسم قرية عمواس المدمرة في حزيران/يونيو 1967 19

اللوحة رقم 5 مجسم قرية دير ياسين 19

اللوحة رقم 6 صورة عامة لجزء من قرية لفتا 22

اللوحة رقم 7 أجزاء من جذر لفتا التاريخي وخلفه المستعمرات 40

اللوحة رقم 8 وادي لفتا (الشامي) في أثناء موسم الشتاء، 1900 - 1926 41

اللوحة رقم 9 لفتا والمستعمرات المحيطة بها من الجهة الشمالية الغربية 49

اللوحة رقم 10 صورة جوية حديثة للفتا بين المستعمرات 52

اللوحة رقم 11 صورة جوية، ٢٠٢٠ 67

اللوحة رقم 12 صورة النُّصب التذكاري للجنرال أللنبي في حي روميما 69

اللوحة رقم 13 صورة جوية قبل عام ١٩٤٨ 71

اللوحة رقم 14 تشكيلات صخرية غير محددة الاستخدام 73

اللوحة رقم 15 حجارة صليبية مهذبة في مبنىً في القرية 75

اللوحة رقم 16 معصرة زيت في القرية 80

اللوحة رقم 17 علاقة القرية مع والجنائن 87

اللوحة رقم 18 بعض البيوت المتفرقة، والتي بُنيت خارج الجذر التاريخي، في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين 88

اللوحة رقم 19 صعود المباني على خلة الطرحة 88

اللوحة رقم 20 صورة لفتا، سنة 1898 89

اللوحة رقم 21 صورة بطاقة بريدية تُظهر طريق القدس - يافا على مشارف قرية لفتا، كما كان، بعد التحسينات التي أُجريت للطريق سنة 1889 90

اللوحة رقم 22 منظر عام للفتا 93

اللوحة رقم 23 صورة شارع يافا، سنة 1900، ويظهر التخطيط الحضري الحديث والأسواق التجارية. 94

اللوحة رقم 24 صورة لمستوطنين يتناولون الطعام على سطح أحد مباني لفتا القريبة في العقد السادس من القرن العشرين 94

اللوحة رقم 25 صورة لمستوطنين يهود من أصول شرقية داخل إيوان أحد بيوت لفتا، بعد النكبة 95

اللوحة رقم 26 صورة لفتا بعد التهجير، العقد الخامس من القرن العشرين 95
اللوحة رقم 27 القوات الصهيونية على طرف لفتا، 27/12/1947، الارشيف الصهيوني.....99
اللوحة رقم 28 صورتان لرسوم جدارية بسيطة داخل بيت في لفتا.....114
اللوحة رقم 29 صورة رسوم داخل غرفة في جذر القرية 114
اللوحة رقم 30 صورتان لشبابيك متنوعة وشرفات في جذر القرية 115
اللوحة رقم 31 صورة تُظهر سلسلة المباني التي تربط جذر القرية بالنبع 116
اللوحة رقم 32 بيت بدر 117
اللوحة رقم 33 شرفة محمولة على دوامر حديدية 117
اللوحة رقم 34 شرفة محمولة على قوس.....119
اللوحة رقم 35 شرفة محمولة فوق قوس 120
اللوحة رقم 36 لفتا، سنة 1936 121
اللوحة رقم 37 شباك مفرد مع حديد حماية 122
اللوحة رقم 38 شرفـة مشكّلة مـن قـوس ضخم أُضيفت إلى مبنى قائم.....122
اللوحة رقم 39 بلاط أرضي (سجادة) في أحد بيوت لفتا.....125
اللوحة رقم 40 خابية في أحد بيوت لفتا 125
اللوحة رقم 41 صورة جوية للفتا، وتظهر مختلف امتداداتها 126
اللوحة رقم 42 لفتا في حضن الطبيعة.....129
اللوحة رقم 43 لفتا، جذر القرية وبعض امتداداته سنة 1946 130
اللوحة رقم 44 صورة الطريق بين الكتل المعمارية في جذر القرية.....132
اللوحة رقم 45 طريق ضيق يقود من العام إلى الخاص.....135
اللوحة رقم 46 طريق يفصل الكتلة المعمارية في وسط جذر القرية 138
اللوحة رقم 47 طريق يفصل الكتلة المعمارية في وسط جذر القرية 139
اللوحة رقم 48 طريق مقنطر داخل الكتلة المعمارية.....140
اللوحة رقم 49 زخرفة على شكل طير في أحد جُدر البيوت.....142
اللوحة رقم 50 موزع على شكل إيوان داخل كتلة معمارية 142
اللوحة رقم 51 بقايا خابية في أحد بيوت لفتا.....143
اللوحة رقم 52 بيت تقليدي، بمستويات متعددة ووجاق 144
اللوحة رقم 53 ركسات داخل بيت في جذر القرية 145
اللوحة رقم 54 شبّاك مِجوز وفوقه كوة مثمّنة الشكل.....145
اللوحة رقم 55 الطبقة السفلية من دون فتحات شبابيك، والطبقة العلوية
تحتوي على شرفة وشبابيك مزدوجة.....147
اللوحة رقم 56 صورة جوية للفتا، بعد سنة 1910.....148

اللوحة رقم 58 كتلة معمارية في جذر القرية 148
اللوحة رقم 59 هدم أسقف المباني لمنع استخدامها، وتركها للانهيار 149
اللوحة رقم 60 من داخل إحدى البيوت في لفتا 150
اللوحة رقم 61 انتشار المباني المتفرقة خارج نسيج جذر القرية على ضفة وادي لفتا الشرقية، 150
اللوحة رقم 62 تعدد الفتحات داخل الجدار، لتقوم مقام الخزائن..... 151
اللوحة رقم 63 تعدد أشكال الفتحات 152
اللوحة رقم 64 شجرة عائلات لفتا..... 153
اللوحة رقم 65 صورة تُظهر البناء على شكل مدرجات، مع المحافظة على شرفات واسعة في كل مستوى..... 155
اللوحة رقم 66 تدرُّج المباني، بحيث تشكل كل درجة شرفة واسعة تشرف على الوادي والحقول الزراعية 156
اللوحة رقم 67 خزائن حائطية داخل الجُدر 157
اللوحة رقم 68 سرقة أطر الشبابيك والأبواب..... 157
اللوحة رقم 69 سقف مزخرف بزخرفة مروحية 158
اللوحة رقم 70 جدار مزخرف بزخارف جصية..... 158
اللوحة رقم 71 عِليّة على شكل برج في جذر لفتا 159
اللوحة رقم 72 مبانٍ منفردة على سفح الجبل..... 161
اللوحة رقم 73 البناء على المصاطب على شكل مدرجات..... 162
اللوحة رقم 74 دمار واسع في جذر القرية، ونمو للنباتات داخل المباني 162
اللوحة رقم 75 رسم يُظهر العين وطريق القدس - يافا، قبل سنة 1858م..... 163
اللوحة رقم 76 نبع لفتا..... 163
اللوحة رقم 77 بركة نبع لفتا 164
اللوحة رقم 78 البركة السفلى وفوقها البركة العليا..... 165
اللوحة رقم 79 متدينون يهود يسبحون في بركة عين لفتا 166
اللوحة رقم 80 فتحة بداية نفق النبع 167
اللوحة رقم 81 قناة الماء الحالية..... 167
اللوحة رقم 82 الباب الخارجي للمسجد..... 173
اللوحة رقم 83 ساحة المسجد وواجهته الشمالية 174
اللوحة رقم 84 قاعة المسجد، ويظهر المحراب، وعلى طرفيه شباكان..... 176
اللوحة رقم 85 مدرسة لفتا قبل الشتات..... 177
اللوحة رقم 86 طلاب مدرسة لفتا يتوسطهم الأستاذ محمد عبد الله، ربيع سنة 1947 178

اللوحة رقم 87 حجر بد في جذر القرية 179
اللوحة رقم 88 برغي المكبس في البد..... 179
اللوحة رقم 89 بد في جذر لفتا..... 179
اللوحة رقم 90 حجر البد وخشبته..... 179
اللوحة رقم 91 تجمع للمباني، على شكل كتلة معمارية..... 180
اللوحة رقم 92 حفر الأسقف لتنهار 181
اللوحة رقم 93 صورة جوية، نحو سنة 1940 181
اللوحة رقم 94 شرفة محمولة على دواسر حجرية..... 182
اللوحة رقم 95 نقش كتابي على باب في جذر القرية..... 184
اللوحة رقم 96 انتشار الصبّار بين المباني وداخلها 185
اللوحة رقم 97 سيطرة الطبيعة على المشهد..... 185
اللوحة رقم 98 ما زالت اللوزيات تسيطر على المشهد 187
اللوحة رقم 99 الخزامى بين البيوت 187
اللوحة رقم 100 زهرة الخرفيش..... 187
اللوحة رقم 101 ترمس بري 187
اللوحة رقم 102 السوسنة السوداء..... 188
اللوحة رقم 103 أشجار تين يانعة بين البيوت..... 188
اللوحة رقم 104 شقائق النعمان وأزهار برية متنوعة..... 188
اللوحة رقم 105 الخروب..... 188
اللوحة رقم 106 لفتا في الربيع، وقد تفتحت الأزهار..... 189
اللوحة رقم 107 لفتا في الربيع، وقد تفتحت الأزهار والصبّار 190
اللوحة رقم 108 بركة لفتا في الربيع،..... 192
اللوحة رقم 109 صورة الحاج صالح صيام وزوجته الحاجة حليمة إسماعيل
وأبنائهما محمود وأحمد ومحمد، قبل النكبة..... 213
اللوحة رقم 110 ترحيل سكان لفتا التحتا سنة 1948 215
اللوحة رقم 111 أزقة القرية..... 219
اللوحة رقم 112 أزقة القرية..... 222
اللوحة رقم 113 اندماج لفتا في البيئة..... 282
اللوحة رقم 114 المؤتمر الصحافي في لفتا، بتاريخ 10/2/2012
بعد قرار المحكمة إلغاء العطاء..... 284
اللوحة رقم 115 ملاعب رياضية أُنشئت على أراضي لفتا..... 286
اللوحة رقم 116 أحد بيوت لفتا، وقد هدمته بلدية الاحتلال
في الأسبوع الأول من كانون الأول/ديسمبر 2016 287

المخططات

المخطط رقم 1 تضمن المخطط رقم 2351 لسنة 1986 45

المخطط رقم 2 مخطط طريق بيغن السريع: المشروع رقم 2860 لسنة 1981 48

المخطط رقم 3 المخطط رقم 4930 لسنة 2013 51

المخطط رقم 4 يشمل المخطط رقم 12000 لسنة 2014 51

المخطط رقم 5 المخطط رقم 6036 سنة 2004 55

المخطط رقم 6 المشروع رقم 6036 56

المخطط رقم 7 رسم لجزء من لفتا، كما صوره دافيد كروينكر 92

المخطط رقم 8 رسم بيت الشرفة: شرفة محمولة على عقد وشبابيك مزدوجة (مِجوزة) 119

المخطط رقم 9 مقطع طولي لجزء من المبنى رقم 66 127

المخطط رقم 10 مخطط الطريق الذي يربط العين بمركز الجذر التاريخي 136

المخطط رقم 11 شبكة الطرق الرئيسية والفرعية في لفتا 136

المخطط رقم 12 نمو لفتا عبر مختلف المراحل 137

المخطط رقم 13 مقطع في جذر القرية يُظهر شكل المباني وعلاقتها بالكنتورات 154

المخطط رقم 14 مصير بيوت لفتا بين سنة 1947 وسنة 2008 160

المخطط رقم 15 مخطط مسجد لفتا وساحته والقاعة الملاصقة له 176

المخطط رقم 16 مخطط التسوية، البيت رقم 96 - 97 183

المخطط رقم 17 مخطط الطبقة الأرضية، البيت رقم 96 - 97 183

المخطط رقم 18 مقطع طولي، البيت رقم 96 - 97 184

المخطط رقم 19 مخطط البيت رقم 22، ومقطعه 235

المخطط رقم 20 مخطط البيت رقم 80، ومقطعه 237

المخطط رقم 21 مخطط البيت رقم 27، ومقطعه 239

المخطط رقم 22 مخطط البيت رقم 106، ومقطعه 241

المخطط رقم 23 مخطط البيت رقم 57، ومقطعه 243

المخطط رقم 24 مخطط البيت رقم 68، ومقطعه 245

المخطط رقم 25 مخطط البيت رقم 66، ومقطعه 249

المخطط رقم 26 مخطط البيت رقم 95، ومقطعه 251

المخطط رقم 27 مخطط المبنى رقم 63، ومقطعه 253

المخطط رقم 28 مخطط المبنى رقم 56، ومقطعه 255

المخطط رقم 29 مخطط المبنى رقم 60، ومقطعه 257

المخطط رقم 30 مخطط المبنى رقم 60، ومقطع تكميلي له 257

المخطط رقم 31 رسوم أعمال حجرية في البيت رقم 68 261

المخطط رقم 33 رسوم لأعمال حجرية في البيت رقم 69 261
المخطط رقم 32 رسوم لفتحات شبابيك (كوات) في البيوت
التي تحمل الأرقام 65، 38، 48، 32 261
المخطط رقم 34 شبابيك مِجوزة وأقواس وأعمال حجرية مميزة في البيت رقم 68 263
المخطط رقم 35 شبابيك مِجوزة في البيوت التي تحمل الأرقام 32، 38، 69، 28،48 263
المخطط رقم 36 أشكال متنوعة من التفصيلة الثلاثية في البيوت
التي تحمل الأرقام 68، 33، 64، 38، 27 265
المخطط رقم 37 أبواب مميزة في البيوت التي تحمل الأرقام 27، 100، 32، 28 267
المخطط رقم 38 أعمال حديد في البيت رقم 90 269
المخطط رقم 39 درابزين حديدي في البيت رقم 28 270
المخطط رقم 40 أعمال حديد في البيت رقم 69 270
المخطط رقم 41 أعمال حديد في البيوت التي تحمل الأرقام 93، 78، 66 271
المخطط رقم 42 أعمال حديد في البيوت التي تحمل الأرقام 109، 64، 106 271
المخطط رقم 43 عمل خشبي في البيت رقم 90 272

الخرائط

الخريطة رقم 1: لفتا وعلاقتها بالقدس وجوارها، نحو سنة 1870 44
الخريطة رقم 2: لفتا وحي الشيخ جراح وحي الشيخ بدر وعلاقتهما
بالأحياء العربية والمستعمرات اليهودية، سنة 1945 46
الخريطة رقم 3: وادي الصرار 47
الخريطة رقم 4: لفتا الانتدابية، سنة 1937 123
الخريطة رقم 5: مقارنة بين امتداد المباني في لفتا وعددها سنة 1947،
وما بقي منها سنة 2016: 124
الخريطة رقم 6: جذر القرية وتوسعه الأول وعلاقته بنبع الماء 133
الخريطة رقم 7: لفتا سنة 1945، وتظهر فيها المباني وتقسيم الأراضي 146

الجدول

الجدول رقم 1: جدول يلخص المعلومات الديموغرافية الموثقة بشأن
تطور لفتا ديموغرافياً 96

مقدمة

لا تشبه لفتا غيرها من القرى الفلسطينية المدمرة والمهجرة. فشكلها البديع، على طريق القدس – يافا، يستفز كل المارة. مدهشة هي هذه القرية، المشرفة على وادي الشامي، والتي تتطلع غرباً في اتجاه مدينة يافا، وتقع في ظهرها شرقاً مدينة القدس، بحدائقها المحيطة بها ونبعها الدفاق. ولفتا شاهدة على تاريخ فلسطين الحضاري، الطويل والمتواصل؛ فهي تقبع فوق طبقات حضارية متعددة، تبدأ بالعصر البرونزي، وتنتهي قسراً بالنكبة سنة 1948، ليبقى جزء من بيوتها خالداً حتى اليوم، وشاهداً على قصة كل من المكان وأهله.

لا يمكن، اليوم، دخول أزقة لفتا وبيوتها المدمرة، نتيجة التهجير وسوء الاستخدام وأنياب الجرافات الإسرائيلية وتدريبات جيش الاحتلال على اقتحام القرى في فلسطين والجنوب اللبناني من دون أن تدمع العين وتتهيج المشاعر. فتركيبة القرية الحضرية ومبانيها الرائعة تجبرك على تخيل أهلها يسرحون ويمرحون، وينادي بعضهم على بعض، من الحقول البعيدة. ولا يمكن لك إلاّ أن تستحضر الأطفال يسبحون في بركة النبع، وأمهاتهم يغسلن، على حافتها، أثوابهن المطرزة بأجمل الألوان والأشكال. وسوف يتراءى لك بعض الرجال المتقدمين في السن، يجلسون في ساحة القرية ويلعبون السيجة بحصىً ملساء جُمعت من وادي الشامي. وثمة بضعة شبان يتنقلون على سطوح المباني، ويقومون بحركات بهلوانية، بينما يجلس أمام العِلية أفراد عائلة متعددة الأولاد، يتناولون طعام الغداء، في وقت متأخر، على طبق من القش افترشوا به الأرض. وتسبح الشمس في الأفق القريب، مبتعدة عن القرية في اتجاه الغرب، مسرعة في أفولها صوب البحر، وأصوات زقزقة العصافير تُطرب الأذن وتكسر الهدوء الذي يخيم على القرية، وهفيف ريح شرقية تهب منعشة في تموز/يوليو. وجلس رجل، بنظّارة عدستاها سميكتان، في بيت بُني على قمة جبل خلة الطرحة، وتسمّر أمام قطعة من الحرير، يخطّ عليها أجمل الخطوط العربية، في حين كان جاره الطبيب يطالع آخر ما نشرته المجلات الطبية، وتداوي زوجته الممرضة جروح طفل جاء من الحارة التحتا، وتحضّر جارتها الأُخرى دروس الغد لطلابها. ووصلت الحافلة القادمة من القدس، تقلّ طلاباً وموظفين وتجاراً عائدين إلى القرية، قبل أن تشق طريقها في اتجاه قرية دير ياسين المجاورة، ولم يتخلف من ركابها إلاّ مُلاّك الدكاكين في شارع يافا وأطراف القدس القديمة، لأنهم يفتحون محالهم حتى وقت متأخر من الليل، ويعودون بعد حلول الظلام إلى لفتا، حيث يتعالى في أفقها البعيد، مختلطاً ببقايا دخان منبعث من طوابين جذر القرية، غبارُ المحاجر والكسارات، التي طالما زودت القدس بالحجارة المهذبة والشِّيد وحصى البناء.

لا يمكن لك، وأنت تتنقل بين ما تبقى من بيوت القرية، إلاّ أن تتخيل هذه المشاهد، كأن أهلها لم يُهجَّروا منها بين ليلة وضحاها. هنا، وقف الزمن ليشهد على ما كان؛ ليروي قصة، ليست قصة اللفاتوة فحسب، بل قصة وطن بأكمله، أيضاً، بترابه وشجره وحجره وبشره وكنائسه ومساجده ومقاماته وبيارته وحقول زيتونه وبيادره وطوابينه؛ ببيوته الطينية وقصوره الفارهة؛ بأحاسيس أهله وذكرياتهم؛ بحنينهم وأغانيهم الشجية التي تستحضر الوطن المسلوب.

نجا جزء مهم من قرية لفتا، بالصدفة وكمعجزة، من المصير الذي واجهه أكثر من 450 قرية وبلدة فلسطينية بعد نكبة سنة 1948، متجسداً في تدميرها الكامل ومحو آثار وجودها. لذلك، لم يكن العمل على لفتا مجرد بحث، مثل غيره؛ فقد اختلط بكثير من المشاعر الجياشة، والأحاسيس التي تخطف الأنفاس، كما امتزج بنهم معرفة المكان والبحث في جذوره. ولم يخلُ من تحدي نبش تاريخه والوصول إلى كل معلومة تسلط ضوءاً على لفتا وأهلها الذين كانوا ينعمون برغد العيش، مثلما يدل على ذلك ما تبقى منها، وسعة أراضيها الزراعية وخصبها، علاوة على وصول حدودها إلى أسوار القدس القديمة. وما زاد في التحدي كثرة المشاريع الإسرائيلية المتلاحقة لمحو تاريخ المكان، فلا يكاد يُنتهى من طرح مشروع إلاّ ويتبعه آخر، وحدث ذلك على مدى أكثر من ثلاثة عقود متلاحقة، بحيث أصبح ما تبقى من لفتا وأراضيها هدفاً لأعمال البلدية التي تقع تحت سلطة الاحتلال، ولمختلف الأذرع الحكومية الإسرائيلية. لكن هذه المخططات واجهت وقفة نضالية صلبة من أهالي لفتا في الوطن والشتات، ودعمهم في صمودهم هذا حشد كبير من الأفراد والمنظمات داخل الوطن وخارجه، بحيث نجحت هذه النضالات، مجتمعةً، في تجميد تلك المخططات. لكن الخطر ما زال ماثلاً، ويجب ألاّ تغيب عن البال قدرة هذا الاحتلال، وخبرته باستعمار فلسطين، وتحيّنه الفرصة الملائمة لالتهام ما تبقى من بيوت لفتا وذاكرتها المادية الماثلة.

تتبّع القسم الأول من هذا الكتاب، مساهمة نظمي الجعبة في موضوع النكبة، فيما يتعلق بتطور الكتابات بشأنها وتبعاتها، أو فيما يتصل بتوثيق المكان الذي عاش فيه الفلسطيني قبل اقتلاعه، وذلك في محاولة لوضع لفتا في إطار نظري ضمن علاقة الإنسان بوطنه، وتتبُّع مختلف أشكالها. كما تضمن مساهمة في تفسير الاهتمام الكبير بلفتا، وأهمية توثيقها كجزء من توثيق النكبة وتطور علاقة اللاجئ الفلسطيني بوطنه المسلوب، ثم عرض مختلف الكتابات والأبحاث عن لفتا، مبيّناً أهميتها، وذلك من أجل إضفاء مزيد من المعلومات عن طبيعة الحياة التي عاشها الفلسطيني قبل النكبة، وعرض موقع هذه القرية الجغرافي وكيفية تأثيره في التطور الحضري، وعلاقة هذا الموقع بالبيئة الطبيعية المحيطة، وبالمشهد الثقافي. كما يعرض امتداد أراضيها ومختلف الطرائق التي استُخدمت بها، ومسمياتها، ويسرد الأحياء العربية الفلسطينية التي أُنشئت على أراضيها، علاوة على المستعمرات اليهودية. ويناقش، بإسهاب، مختلف المشاريع الإسرائيلية التي استهدفت محو ذاكرة لفتا وتدميرها، وسلبَ ما تبقى من أراضيها، لإنشاء مزيد من المستعمرات عليها. وذلك كله مدعَّم بالوثائق والخرائط الإسرائيلية والصور القديمة والحديثة.

يعرض نظمي الجعبة، في محاولته كتابة تاريخ لفتا، تاريخَها الحضري، بدءاً بالعصر البرونزي، ويسخّر، في سبيل ذلك، نتائج كل الأبحاث والحفريات الأثرية، ويناقش الروايات التوراتية المتعددة التي تربط لفتا بها، ويتتبّع المعلومات المتوفرة في المصادر والمراجع، منذ الفترة الرومانية حتى سنة 1948، حين نُكبت هذه القرية. واعتمد جزء من هذه المراجعة التاريخية على الوثائق العثمانية، وخصوصاً تلك المتعلقة بالأوقاف الإسلامية، وما تتضمنه سجلات المحكمة الشرعية في القدس بشأن لفتا، بالإضافة إلى ما تتضمنه السجلات العثمانية في إستانبول. وحُلّلت الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية للتركيبة المعمارية، وحظيت بقسط وافر من البحث مختلفُ أبعاد التركيبة الحضرية وعلاقتها بالقدس. وعُرضت مباني لفتا ومعالمها الأساسية، في خاتمة هذه المراجعة. كما عرضت هذه المساهمة بيئة هذه القرية الطبيعية، وما تحويه من نباتات وحيوانات، على نحو جعلها موئلاً طبيعياً فريداً. وعلى الرغم من تهجير سكانها، فإنها حافظت على سحرها.

ما كان لفهمنا لفتا أن يستقيم من دون عرض علاقة أهلها بها، من الجيل الأول للمهجرين الذين ما زالوا في قيد الحياة، على الرغم من تناقصهم المستمر، بحيث تختزن ذاكرتهم كثيراً من ذكريات المكان

ومعانيه بالنسبة إليهم. وهم لا يختلفون، في هذا الأمر، عن مهجري سائر القرى والمدن الفلسطينية. فهذه الذكريات قد تكون مشوبة بالنوستالجيا، لكنها شاهدة مهمة ومصدر معلومات يصعب الاستغناء عنه، لأن المصادر المكتوبة تبقى قاصرة عن التعبير عن علاقة الإنسان بالمكان. لذلك، جاءت المساهمة الثانية في هذا الكتاب، لرنا بركات التي بذلت جهداً كبيراً في جمع مجموعة من الروايات الشفوية عن لفتا، وأجرت، شخصياً، هذه المقابلات، أو زودتها بها لجنة حماية التراث الثقافي في لفتا. وأكملت، بذلك، المساهمة الأولى التي اعتمدت على مختلف المصادر والمراجع، وفتحت باباً لأهل لفتا ليصوروا، عبره، تجاربهم وما عايشوه قبل النكبة. ولم تنسَ وضع هذه الروايات ضمن إطار نظري يربطها بالروايات المتعلقة بالنكبة في سائر أنحاء فلسطين. ولا تلتقط هذه المساهمة لحظة النكبة وبعدها (أيام اللجوء)، بل تتذكر الحياة «أيام بلدنا»، مثلما كانت. ويستحضر الرواة جميع تفصيلات المكان، ويتكرر ذكر عين لفتا، وتظهر مركزيتها في ذاكرتهم، بحيث لم تغِب قطّ، وربطوا بين مواقع بيوتهم والعين والمسجد، فشكلت، معاً، مثلث ذاكرة. وماء عين لفتا ليس، طبعاً، ككل ماء، فما زال طعمه في أفواه مَن بقوا أحياء حتى الآن. ويأتي بعد ذلك منعشاً في ذاكرتهم التينُ الشوكي (الصبّار) ومقهى صالح عيسى. وتؤدي الجغرافيا، في الحقيقة، دوراً مهماً في ذاكرة من عاش في لفتا قبل الاقتلاع، فيتمحور كثير مما تختزنه حول مختلف المواقع والمسميات الجغرافية، كأنهم لم يبرحوا المكان قط. ويقدم الرواة سرديات لحياتهم الاقتصادية وتطورها المتسارع قبل الترحيل، وتتنوع مصادر رزقهم بين وظائف وتجارة ومحاجر وزراعة، وتجري المقارنة بين لفتا الفوقا ولفتا التحتا، مع تأكيد وحدة الحال بينهما طبعاً. ويسترسل بعضهم في الحديث عن مدى تأثير محاجر لفتا وكساراتها في تغير الحياة والانتقال الطبقي، وحتى مغادرة جذر القرية إلى لفتا الفوقا. وتستمر ذكريات نساء لفتا ورجالها في الانسياب، معبرة عن جمال الحياة في قريتهم. ولا تخلو هذه الروايات، بالتأكيد، من النوستالجيا، لكنها تستند إلى وقائع تساهم في فهم مضامين حياتهم وشكلها قبل الاقتلاع.

للتاريخ الشفوي، بالتأكيد، دور حاسم في كتابة التاريخ، بحيث يحفظ جزءاً من الذاكرة الجمعية، التي لا يمكن استخدامها بالطريقة نفسها التي تُستخدم بها الوثائق والروايات التاريخية الموثقة، لكنه يتضمن أيضاً كثيراً من الحقائق والمعلومات، علاوة على استحضاره المشاعر الإنسانية وكيفية فهم الرواة للتاريخ. ويجب استخدامه، بالتالي، بحذر. وتنبع أهمية التاريخ الشفوي، وخصوصاً في الأرياف، من كونه المصدر شبه الوحيد للمعلومات أحياناً. صحيح أن لفتا محظوظة بسبب توفر كثير من المصادر بشأنها، وهو أمر لا يتكرر كثيراً في أرياف فلسطين، لكن التاريخ الشفوي يبقى مهماً لفهم المعلومات التاريخية، وتحديد أماكن الأحداث، وحفظ الأسماء. وعلى الرغم من هذا الأمر، فإنه يجب ألاّ نعتقد أن التاريخ الشفوي يشكل بديلاً من التاريخ المعتمِد على الوثائق، بل إنه مكمل له.

على الرغم من تسجيل أغلبية تركيبة لفتا المعمارية في القسم الأول، بما في ذلك التركيبة الحضرية، والتي كُتبت لفهم سياق تطورها، تاريخياً واجتماعياً واقتصادياً، فإنها كُتبت بمنهجية المؤرخ الاجتماعي. ورُبط ذلك بتاريخ فلسطين، بصورة عامة. لذا، فإن هناك مظاهر معمارية في لفتا يُقتضى توثيقها من خلال عين معماري يقدّر القيم المعمارية ويستطيع تحليلها وتفسيرها وتصنيفها من منطلقات معمارية. وقد يكون هناك بعض التكرار في القسم الأول، لكن السياقات متباينة. لذا، أتت المساهمة الثالثة لخلدون بشارة، الذي حلّل القيم والتشكيلات المعمارية في لفتا، بعينَي المهندس المعماري المجرب، والمتخصص بالمباني التاريخية، وذلك من خلال مسح جبار قامت به، تحت إشرافه، مجموعة من المهندسين العاملين في رواق، مركز المعمار الشعبي، والذين رسموا قسماً كبيراً من المباني الباقية، ووثّقوها بمهارة المهندسين المعماريين، وذلك ضمن حملة توثيق لفتا، قبل أن تلتهمها الجرافات،

لا سمح الله، وبهدف محاولة إعادة تركيب القرية، وتصوّر الحال التي كانت عليها قبل التهجير. وصنف خلدون هذه المباني عدة مجموعات، بناءً على طرزها ومخططاتها، وحاول ربط هذه التصنيفات بالتراث المعماري التقليدي في فلسطين، مسلطاً الضوء على أهم خصائصها وفرادة عمارتها. ويُعتبر مجموع ما رُسم من المباني، في الحقيقة، وثيقة تاريخية من الطراز الأول، يمكن استخدامها في سبيل حماية لفتا، كما تؤدي دوراً مهماً في حفظ الذاكرة الجمعية لأهلها، ولغيرهم من سكان أرياف فلسطين. وتطرقت المساهمة إلى التفصيلات المعمارية، المتعلقة بفتحات الأبواب والشبابيك، وأنواع العقود والأسقف، وأشكال السطوح، مروراً بالزخارف ومختلف النقوش الكتابية وأنواع البلاط الأرضي التي رصعت المباني، علاوة على التشكيلات المتنوعة لأعمال الحديد. وحاول خلدون، جاهداً، تفسير انتشار ظاهرة البلكونات والتراس والعلالي في لفتا، على نحو لافت. كما شرح فهمه موقع هذه القرية، وتحليله كيفية تموضعها، وحلل تركيبتها الحضرية، وعلاقة ذلك بالبيئة المحيطة. ولم يكن ممكناً نشر كل مخططات المباني التي وُثّقت لكثرتها، فعمد الكاتب إلى اختيار نماذج معبرة، تساهم في فهم عمارة لفتا، وتعبّر عن مختلف مجموعات مبانيها. أمّا مخططات باقي المباني فقد ألحقت كملحق بالكتاب لتكون جزءاً من توثيق القرية، لعلنا نستخدمها مستقبلاً من أجل إعادة توطين اللفاتوة فيها.

أمّا المساهمة الأخيرة، فكانت ليعقوب عودة، ابن لفتا النشيط، والذي لا يكلّ عن التذكير بقضية قريته كجزء من القضية الفلسطينية، والمؤمن تماماً بحقه، مثل حق كل لاجئ فلسطيني، في العودة. وقد رافق قضية لفتا من البداية، ووُلد في حضنها قبل نكبتها، فجاءت مساهمته في تأريخ النضال، في سبيل حماية لفتا من التدمير، مفعمة بالعزيمة والأمل، وممزوجة بالعز والفخار. وأتت في صورة تقرير وسرديات لمجمل النضالات التي خاضها أهاليها، ونجاحهم في خلق حالة نضالية بشأن مستقبلها، على نحو يسلط الضوء على علاقة المُهجَّر بقريته. وهو تقرير لا يعتمد المنحى الأكاديمي، لأنه مفعم بالأحاسيس. وعلى الرغم من أنه كان متبايناً عن منهج القسم الأول، فإنه يعطي المكان وأهله بعداً إنسانياً. ويعرض الكاتب، في هذه المساهمة، مختلف المراحل التي مرت بها لفتا منذ سنة 1967، والمخططات الإسرائيلية المتعددة لالتهام مسقط رأسه، لكنه يتوسع، في صورة شيقة وروح متحدية، في شرح وتفسير الخطوات النضالية التي خاضها أهل لفتا ومَن معهم من الأصدقاء والداعمين، ويسلط الضوء على السنوات الطويلة التي أمضوها في المحاكم الإسرائيلية لتعطيل هذه المخططات وإفشالها، وكيفية تجنيد ائتلاف واسع، محلياً ودولياً، لحماية ذاكرة كل من القرية وأهلها، ولحماية حقهم، تالياً، في قريتهم، وفي الحفاظ على ذاكرتهم. ويشرح كيف استطاع، بالتعاون مع مجموعة من أهل لفتا وجمعياتها، تحويل قضيتهم إلى قضية رأي عام، جذبت كل المؤسسات الإعلامية من جميع بقاع الأرض، بحيث أصبحت لفتا تحتل مكاناً مرموقاً في تغطياتها، ولدى المهتمين بمسائل العمارة والتركيبة الحضرية والتاريخ والآثار والبيئة واللجوء... إلخ. وتُعتبر مساهمة يعقوب عودة بمثابة سجلّ وقصة نضال، لكنها أيضاً سجل شخصي للسنوات الطويلة التي أمضاها من عمره، حاملاً نبع لفتا فوق ظهره.

يضم الكتاب بين ثناياه، وفي جميع المساهمات الواردة فيه، مجموعة كبيرة من الوثائق؛ فقد جُمع عدد من الخرائط والمخططات والصور التاريخية والحديثة، ونماذج واسعة لمخططات ومقاطع بيوت لفتا ومبانيها العامة، علاوة على الوثائق التاريخية، على أمل أن يكون وثيقة تاريخية تساهم في حماية ما تبقى من لفتا من الدمار، وشاهداً على حياة الريف الفلسطيني قبل الاقتلاع والتهجير والتدمير؛ قبل نكبة الإنسان وموئله؛ قبل نكبة الثقافة والمشهد؛ قبل أن يُحول ثلثا الشعب الفلسطيني إلى لاجئين مشتتين في أصقاع المعمورة. وكلنا أمل بأن

تحظى قرى فلسطينية أُخرى بهذا النوع من التوثيق، فهناك بعض القرى المهجَّرة، والتي ما زالت تحتفظ ببعض مبانيها، مثل عين كارم والمالحة ودير ياسين في منطقة القدس، وعين حوض على جبل الكرمل. لكن هناك كثيراً من القرى، التي يجب استحضار تركيبتها الحضرية، وتوثيقها قبل فوات الأوان. فلا يُعقل أن يقوم الآخر، عبر تاريخ جلّه وهمي، باستحضار المكان بعد أكثر من ألفي عام، ونحن نراقب اختفاء آثار وجودنا الحقيقي.

جاءت مختلف المناهج، التي كتبت فصول هذا الكتاب، نتيجة اختلاف خلفيات المؤلفين لها، وتباين موضوعات الأبحاث ومنهجياتها والمصادر المتوفرة لكتابتها. وقد تبدو غير منسجمة، ويشوبها أحياناً بعض التكرار، لكنها تُثري هذا الكتاب، لأن كل جزء منها يضيف معلومات متنوعة، لها نظرة مغايرة إلى الأمر نفسه أحياناً، بحيث تضع لفتا في سياقات متعددة، من الممكن أن تساهم في نشر المعلومات المتعلقة بقرى فلسطينية مشابهة.

وفي الحقيقة أن هذا الكتاب، على الرغم من مساهمة عدد كبير من الأشخاص في صدوره، فإنني مدين لشخص يعقوب عودة بالكثير نظراً إلى متابعته الحثيثة وإصراره على صدوره بلا كلل، وبالتأكيد مع زملائه من اللفاتوة في لجنة الموروث الثقافي وجمعيات لفتا في رام الله والقدس وعمّان، ومن خلفهم جمعيات اللفاتوة في الشتات. فليعقوب عودة كل الشكر والامتنان، وهذا أقل ما يمكن أن يقال، وله الشكر أيضاً على مراجعة المخطوطة الأولى لهذا الكتاب وإبدائه الرأي عن مجموعة من النقاط، والشكر موصول للمهندس ناصر أبو ليل أيضاً، ابن لفتا والمتابع لقضاياها، على مراجعته المخطوطة الأولى.

كما لا يسعني إلّا أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى مؤسسة الدراسات الفلسطينية بمديرها العام خالد فراج ومدير فرع فلسطين علاء جرادات الذي تابع الكتاب وقدم مساهمات مهمة في سبيل صدوره، ولسليم تماري الذي أغنى البحث وساهم بشكل كبير في متابعة تطوره، ولطاقم مؤسسة الدراسات الفلسطينية في رام الله وبيروت على جهودهم الكبيرة وصبرهم في إخراج هذا الكتاب.

وبالتأكيد، أوجه تقديري الجزيل إلى الزملاء المساهمين في كتابته، رنا بركات، وخلدون بشارة، ويعقوب عودة، لكن أيضاً شكر خاص لطاقم رواق، ولا سيما مديري المركز فداء توما وخلدون بشارة، إذ استطاعوا في أوضاع غاية بالتعقيد مسح وتوثيق الجزء الأكبر من مباني لفتا وتحضير المخططات للنشر، وقامت المهندسة آية الطحان من رواق بجهد كبير ومضنٍ بتحضير كثير من المخططات والخرائط للنشر مقدراً لطفها ومهنيتها، وإلى الصديق المهندس إياد عيسى على إعادة رسمه بعض المخططات، وأنا مدين للصديق عيسى فريج لقيامه بتصوير العدد الأكبر من الصور الحديثة المنشورة في الكتاب، ولكل من ساهم بطريقة أو بأُخرى في إخراج هذا الكتاب إلى النور. وبالتأكيد تبقى الهفوات غير المقصودة من مسؤوليتي.

نظمي الجعبة

الفصل الثالث

موقع لفتا وتاريخها

أولاً: الموقع

يقع جذر قرية لفتا التاريخي إلى الشمال الغربي من مدينة القدس القديمة، فوق هضبة مرتفعة نسبياً، على السفح الغربي لجبل خلة الطرحة. وتشرف على أحد المجاري العليا لوادي الصرار، وهو وادي الشامي الذي يجري في طرفها الشمالي، متجهاً غرباً. وتخترق أراضي لفتا طريق القدس – يافا القديم،[1] والواقع على ضفاف وادي الشامي، ويقع على طرفها وداخل أراضيها طريق القدس – يافا السريع من الجهة الجنوبية. وكانت لفتا تتصل بمجموعة من الطرق المعبدة، وأُخرى ممهدة ومتصلة بالقرى التالية: دير ياسين والمالحة وعين كارم والجورة وبيت إكسا وقالونيا والقسطل وبيت حنينا وشعفاط والعيسوية والنبي صموئيل، وهي القرى المحيطة بلفتا من جميع الجهات، بالإضافة إلى مدينة القدس طبعاً، إذ لم توجد أي قرية بين لفتا وأسوار المدينة القديمة، لتصل بذلك أراضيها حتى الأسوار الشمالية للقدس القديمة.

يبلغ متوسط ارتفاع لفتا عن سطح البحر نحو 675 متراً، أمّا أقصى ارتفاع لها فيصل إلى 730 متراً. ويحدها اليوم، من الجهة الجنوبية، طريق القدس – يافا السريع والعريض جداً. ويحدها، من الجهة الشرقية، ما أصبح يُعرف بطريق بيغن، وهو الطريق الذي يحد الأطراف الغربية للقدس، ويمتد من شمالي القدس (إلى الغرب من قرية قلنديا)، ويتجه جنوباً، مخترقاً وسط بيت صفافا، قاسماً إياها قسمين، ليصل إلى الطريق الرابط بين القدس والخليل. وشُيد هذا الطريق بين جذر لفتا التاريخي والحارة العليا الملتحمة برومیما والمتداخلة معها، ودُمرت أغلبية بيوت لفتا الواقعة في هذه المنطقة. ويخترقها، من الجهة الجنوبية أيضاً، الشارع رقم 9، الذي يربط مستعمرة موتسا بطريق بيغن المذكور. أمّا في الجهة الغربية، فيمتد وادي لفتا الذي قُطع حالياً بأنفاق القطار الجديدة وبشوارع متعددة، وهو مستهدَف من جانب سلسلة من المخططات.

إن إحاطة قرية لفتا وما تبقى من أراضيها بسلسلة من الشوارع العريضة والسريعة، علاوة على إنشاء سلسلة أُخرى من المستعمرات في محيطها، أديا إلى تغريب المشهد الثقافي في المنطقة، وحوّلا لفتا إلى مكان غير منسجم مع بيئته المحيطة به، فبدت هي كأنها في غير موقعها، وليس المستعمرات المحيطة بها. لكن هذا كله لم يتمكن من محو لفتا وما علق بها من ذكريات حية، كما حوّل ما تبقى من القرية إلى «محمية معمارية وثقافية وطبيعية»، أشبه بجزيرة في قمة الإثارة.

يمكن معرفة حدود لفتا التاريخية بالاعتماد على خريطة فلسطين لسنة 1945، والتي تُظهر أنه يحدّها من الشمال كل من القرى التالية: شعفاط وبيت حنينا وبيت إكسا. أمّا من الغرب فتحدها القريتان بيت إكسا وقالونيا (قرية مدمرة)، وتحدها من جهة الجنوب مدينة القدس ودير ياسين (دُمرت أغلبية مبانيها) وعين كارم (غير مدمرة، لكن مهجرة). أمّا من جهة الشرق، فتحدها القرى التالية: الطور والعيسوية وشعفاط، بالإضافة إلى مدينة القدس طبعاً. وامتدت، نتيجة ذلك، أراضي لفتا، في صورة واسعة، بحيث ضمت الدولة العثمانية هذه الأراضي كلها إليها.

نشأت مجموعة من الأحياء العربية والمستعمرات الصهيونية المبكرة على أراضي لفتا، بسبب اتساع هذه الأراضي والتصاقها بالقدس، سواء في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أو في بدايات القرن العشرين. وسكن بعض اللفاتوة في الأحياء العربية الجديدة، والتي بُنيت على أراضيهم، لكن أغلبية القاطنين فيها كانت، في الأصل، من سكان القدس الذين خرجوا من داخل المدينة القديمة. ويمكن القول إن أحياء القدس الجديدة (خارج الأسوار) بدأت تقترب، بالتدريج، من مركز لفتا، منذ العقود الثلاثة الأخيرة من القرن التاسع عشر. وتسارع الأمر، على نحو مطّرد، خلال نهاية الفترة العثمانية وطوال فترة الانتداب البريطاني، قبل أن يتوقف مع حلول النكبة، وخضوع لفتا وأراضيها لوقائع جديدة. أمّا أهم الأحياء العربية التي بُنيت على أراضي لفتا، فهي التالية:

حي وادي الجوز:[2] يبدأ عند الطرف الشرقي الجنوبي المنحدر من جبل المشارف، ويسمى جزء منه «أرض السمار»، نسبة إلى تربته وصخوره الداكنة اللون. ويمتد بين حي الشيخ جراح غرباً وسفوح جبل الزيتون شرقاً، وصولاً إلى أسوار البلدة القديمة بالقرب من زاويتها الشمالية الشرقية (برج اللقلق والمتحف الفلسطيني). ويضم حي وادي الجوز مناطق سكنية فلسطينية ازدهرت منذ نهاية القرن التاسع عشر، وشُيدت فيه منطقة صناعية في منتصف القرن العشرين، وهي اليوم سوق كبيرة، تباع فيها مختلف أنواع البضائع ومواد البناء، وتوجد فيها مرائب لتصليح السيارات. وما زالت مجموعة من عائلات سكان لفتا تقطن في هذا الحي، وخصوصاً عائلات صيام وأبو طاعة وعيد، وهناك أراضٍ ومحلات تجارية لعائلة أبو ليل وأراضٍ لعائلة النجار وغيرها.

حي الشيخ جراح:[3] يقع إلى الجنوب من جبل المشارف، ويمتد حتى حي سعد وسعيد الواقع على بُعد مئتي متر شمالي باب العمود. وشُيدت في هذا الحي مبانٍ حكومية وقنصليات أجنبية، وبُني فيه المستشفى الفرنسي، ومستشفى سانت جون المتخصص بعلاج أمراض العيون. وكانت أغلبية هذه المنطقة عبارة عن حقول زراعية يملكها سكان لفتا. وشرع أعيان القدس، في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، في اقتناء الأراضي فيها، مشيّدين منازل صيفية، وزارعين كروماً وحدائق، منها كرم المفتي مثلاً، حتى أصبحت منطقة الشيخ جراح حيّاً صيفياً لأهل القدس، مثلها مثل حي البقعة، الواقع إلى الجنوب الغربي من البلدة القديمة. وانتشرت المباني الحديثة في حي الشيخ جراح، على شكل قصور، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مشكّلة حياً عصرياً من الطراز الأول، سكنته العائلات التالية: الحسيني وجار الله وهندية وغوشة والنشاشيبي وشرف، وغيرها من العائلات المقدسية، علماً بأن علاّمة القدس الشيخ شرف الدين محمد الخليلي بنى، في القرن الثامن عشر، أول قصر خارج أسوار البلدة القديمة، في موقع المتحف الفلسطيني، لتفتح خطوته هذه باباً استمر، بعد ذلك، في التطور والانتشار.

أقام الاحتلال البريطاني، في الثلث الأول من القرن العشرين، مدرسة للشرطة البريطانية على أراضي لفتا (غربي مدرسة عبد الله بن الحسين والشارع رقم 1)، وتُعتبر اليوم المقر الرئيسي لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا). كما أنشأت المنظمات الصهيونية مباني الجامعة العبرية ومستشفى هداسا على أراضٍ من لفتا والعيسوية، كان صادرها الاحتلال البريطاني وسلّمها إلى المنظمات الصهيونية. وأقيمت على أراضي هذا

الحي أيضاً مقبرة لجنود التحالف الذين سقطوا في الحرب العالمية الأولى، في موقع محاذٍ لمستشفى هداسا من الجهة الغربية.

أقامت إسرائيل، بعد الاحتلال سنة 1967، بؤرة مستعمرة، شمال مقر الأونروا، سمتها غفعات هتحموشت (أي تلة الذخيرة)، تخليداً لذكرى معركة ضارية جرت في الموقع نفسه ضد الجيش الأردني، واعتُبرت أشد المعارك دفاعاً عن القدس، وسقط فيها أعداد كبيرة من الجنود الإسرائيليين. واستولى الاحتلال على البناء المخصص للمستشفى الحكومي، الذي بنته الحكومة الأردنية ليكون بديلاً من مستشفى الهوسبيس (البلدة القديمة)، ويقع شرقي ملاعب الشيخ جراح، وحوّله الاحتلال إلى قيادة مركزية للشرطة اللوائية. وشيد على أراضي لفتا، في حي الشيخ جراح، مجمّع مكاتب لمختلف الوزارات، سماه «القرية الحكومية»، بالإضافة إلى بنائه مجمّعاً صحياً لنقابة عمال صهيون (الهستدروت)، ومقراً للمنظمة الصهيونية غوش إيمونيم التي أُنشئت بعد الاحتلال سنة 1967 لمنع عودة الأراضي إلى الفلسطينيين، وشكلت الدافع السياسي الأساسي إلى استعمار الضفة الغربية. وأقيم على أراضي هذا الحي أيضاً فندق هيات ريجنسي (فندق دان اليوم)، والمجمّع الرياضي القريب منه، وقرية الطلبة التابعين للجامعة العبرية على جبل المشارف (سكوبس). وشُيد مبنى ضخم يُستخدم مركزاً قيادياً لحرس الحدود. أمّا منطقة المصلبة، من أراضي لفتا، وفيها دير المصلبة الشهير، تقع إلى شرقي جنوبي الشيخ بدر وفيها عمار لأهل لفتا، فقد أقيمت على أراضيها كثير من المؤسسات الإسرائيلية، أهمها الكنيست والجامعة العبرية والمكتبة الوطنية وسلسلة من المتاحف.

أنشئ، في حي روميما، نُصب تذكاري للجنرال البريطاني أللنبي الذي احتل القدس في الحرب العالمية الأولى. وكُتب على هذا النصب ما نصه:

«Near this spot,
the Holy City was surrendered to
the 60th
London Division,
9th December 1917»

«استسلمت، في هذه البقعة، المدينة المقدسة لفرقة لندن 60، في 9 كانون الأول/ديسمبر 1917.»

اللوحة رقم 12 صورة النُّصب التذكاري للجنرال أللنبي في حي روميما

حي روميما: يقع في أعلى بقعة في لفتا، وهي أعلى تلة في القدس، بصورة عامة (خلة الطرحة)، إلى الجنوب الشرقي من جذر لفتا التاريخي. أُنشئ هذا الحي، بالتدريج، سنة 1921، في فترة الانتداب البريطاني، واختلط فيه اللفاتوة واليهود معاً، في أغلبية أجزائه، على الرغم من وجود مشروع سكني يهودي تَشكَّل من 24 وحدة سكنية مغلقة. لكن بيوت الفلسطينيين تداخلت مع بيوت اليهود فيه، بصورة عامة. وأقامت مجموعة من اللفاتوة محالها التجارية فيه. وما زال يمكن، حتى اليوم، مشاهدة مجموعة من البيوت العربية، بطرازها المشابه لسائر مباني القدس التي شُيدت في الفترة نفسها. وتظهر في بعضها نقوش كتابية، منها أدعية وآيات قرآنية، وبعضها مزخرف بالبلاط القاشاني. وشُيد كثير منها بالحجر الوردي، ويصل ارتفاع أحدها (بيت الحاج محمد)، وهو أجملها، إلى ثلاث طبقات.

أحياء باب العمود وباب الساهرة والمصرارة: يمكن، بالتأكيد، إضافة هذه الأحياء المركزية والمهمة إلى لفتا، لأنها بُنيت، كلها، على أراضٍ تتبعها أساساً، وهي الأحياء الحديثة والملاصقة للأسوار الشمالية للبلدة القديمة، وبُنيت، بالتدريج، منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بحيث توسع حي المصرارة في اتجاه الشمال، على امتداد الطريق المتجه إلى شمالي المدينة والغرب (شارع الأنبياء)، وضم كثيراً من المباني الرائعة الجمال، والمعبرة عن تصميم معماري رفيع، والمبنية بالحجر الوردي (أغلبيتها من طبقتين). كما ضم مجمّعاً ضخماً، مؤلفاً من كنيسة ودير ومساكن للأحباش. ونشط في هذا الشارع المهندس الألماني الشهير كونراد شيك (Conrad Schick)، الذي صمم مجموعة من المباني – بينها بيته (بيت طابور) – ضمت بيت الطبيب والأنثروبولوجي الفلسطيني توفيق كنعان. أمّا الأحياء الواقعة في اتجاه الشمال، فضمت مجموعة أُخرى من المؤسسات والبيوت الفارهة، منها الكلية الفرنسية للدومنيكان (إيكول بيبليك/ École biblique)، ومجمّع كبير للأنغليكان (المطران St. George)، ومسجد سعد وسعيد، وبيوت جميلة كثيرة، بينها بيت برامكي الشهير، الذي حوّله الإسرائيليون إلى متحف. ويمكن، في الحقيقة، الحديث طويلاً عن هذه الأحياء الحيوية، لكن لن يتسع المقام هنا لذلك.

حي الشيخ بدر: كان يقع إلى الجهة الغربية من القدس، وهو المنطقة التي تقع فيها اليوم محطة حافلات إيغد الإسرائيلية (محطة الحافلات المركزية). ويُعتبر مدخل قرية لفتا الرئيسي، من الجهة الشرقية الجنوبية، وسكن فيه جزء من اللفاتوة، ممن اختلطوا بسكان آخرين من القدس، خرجوا وسكنوا خارج الأسوار. واعتُبر هذا الحي من الأحياء الفاخرة في المدينة، وخصوصاً خلال فترة الانتداب البريطاني.[4]

وشيد الاحتلال، على أراضي حي الشيخ بدر، كلاً من الكنيست الإسرائيلي (البرلمان)،[5] ووزارتي المالية والخارجية، والمحكمة العليا، ومباني الأمة (مسارح ومركز مؤتمرات ومعارض)، ومتحف إسرائيل، والجامعة العبرية الجديدة.[6]

ضمت أراضي لفتا عدداً من المواقع التاريخية الأثرية، أهمها بير القوس، الذي يقع شمالي القرية، ويحتوي على آثار قديمة، قد تعود إلى الفترتين الرومانية والبيزنطية. وضمت أيضاً «قوس مليحة»، الذي يقع إلى الجنوب، وفيه آثار تعود إلى الفترتين المذكورتين. وتضم أراضي لفتا أيضاً الخِرب التالية: جبل تليليا (يعتقد البعض أن مصدر التسمية هو إيلياء) الذي يضم بقايا أعمدة وأرضيات فسيفسائية؛ بيت قيقا؛ الجفافة؛ البرج. وهي خِرب أثرية تعود إلى فترات تاريخية متعددة، بعضها روماني، وبعضها الآخر بيزنطي.[7]

وتحفظ ذاكرة أهالي لفتا كثيراً من مسميات أراضي لفتا وحيازاتها الزراعية ومواقعها الجغرافية، التي كانت مستخدمة، منها: خلة الطرحة، خلة علوان، خلة حسونة، خلة الشيخ أحمد، رقايب ريادة، خربة داود، خربة صالح، خربة تليليا، خربة كيكا، خربة خازوق، خرب حلوة أبو الليل، خربة الجفافة، خربة البرج، خرب دار خلف، حيط الشقرة، التعميرة، باطن حمودة، باطن الهوا، الدرجة، الضحاضيح، صف البيطار، العامرية، ذيلة كعكة، مرس (مارس) عابدة، المعصرانية، المصلبة، القرنة، الشيخ جراح، الشيخ بدر، أرض السمار، أرض البياض، زين العرب، الحوفة، وعر الضبع، وعر اللتون، وعر القرنة، وادي الشامي، وادي موادين، وادي صهيون، وداي الشنانير، واد الجوز، وادي غربة، وادي الوعر، وادي الغول، وادي الشيخ، وعر وساطة، وعر شعفاط، وعر البلد، وعر اللوز، كرم ازمقنا، كرم الدجن، كرم إسماعيل، كرم فرحان، كرم صيام، كرم أحمد رمضان، كرم أبو أسعد، كرم البحر، كرم حجة، كروم دار خليل، الحون، الحرش، قاع البلد، القرنة، شعب الجمل، راس علوي، العقبة، البقيع، لفتا (الحارة) التحتا، لفتا (الحارة) الفوقا، جبل المشهد، جبل الصوانة، جبل سكوبس، رأس النادر (حي الحرش/حرش شنللر)، برج التوت، برج عرب، مغارة الشعبانية، مارس الرجم، راس الطبيب، الغربية، قطعة اليتامى البلحيات، المعرشة، شولا، البياضة، زين العرب، الصيادين، جورة العميا، المدهون، فرن زبيدة، فرن الريش، فرن الضو، جورة أبو حامد، جورة خلف، جورة كاملة، الركدة، حبايل حمام، بد عياد، ست لهلها، بير القوس، قوس مليحة... إلخ.[8]

وأُقيمت على أراضي لفتا المستعمرات التالية: نفتوح، رمات إشكول،[9] غفعات شابيرا،[10] غفعات همفتار،[11] معلوت دفنا.[12] وبُنيت عدة فنادق حديثة على أراضيها، منها فندق الهوليداي

إن (الهيلتون سابقاً) وفندق سونستا وفنادق أُخرى، بالإضافة إلى كثير من المؤسسات، ذكرنا بعضها سابقاً.

شكلت أراضي لفتا غنيمة لا تقدَّر بثمن للاحتلال الإسرائيلي، بعد سنة 1948، فاستولى على آلاف الدونمات الفارغة، علاوة على سيطرته، بصورة كاملة، على الأحياء العربية، التي كانت تقع على أراضي لفتا، بمبانيها الحديثة وأثاثها الفاخر ومكتباتها وذكرياتها، على نحو مكّنه من بناء أحياء استيطانية جديدة، وتوسيع الأحياء القديمة، وبناء الأسواق والشوارع والمؤسسات. لقد بُني كثير من أحياء شطر القدس الغربي، بغض النظر عن تاريخ بنائها، على أراضي قرية لفتا. واستكمل الاحتلال سيطرته على مزيد من أراضيها بعد سنة 1967، وتقع أغلبيتها في منطقة الشيخ جراح، حيث أنشأ عليها مزيداً من المؤسسات الحكومية والمستعمرات، كما ذُكر سابقاً. وتضم منطقة الشيخ جراح الآن أكبر تجمع للمؤسسات الحكومية الإسرائيلية في شطر القدس الشرقي، وخصوصاً وزارة الأمن الداخلي (الشرطة)، وقيادة قوات حرس الحدود، ومركزاً صحياً، بالإضافة إلى منشآت أُخرى.

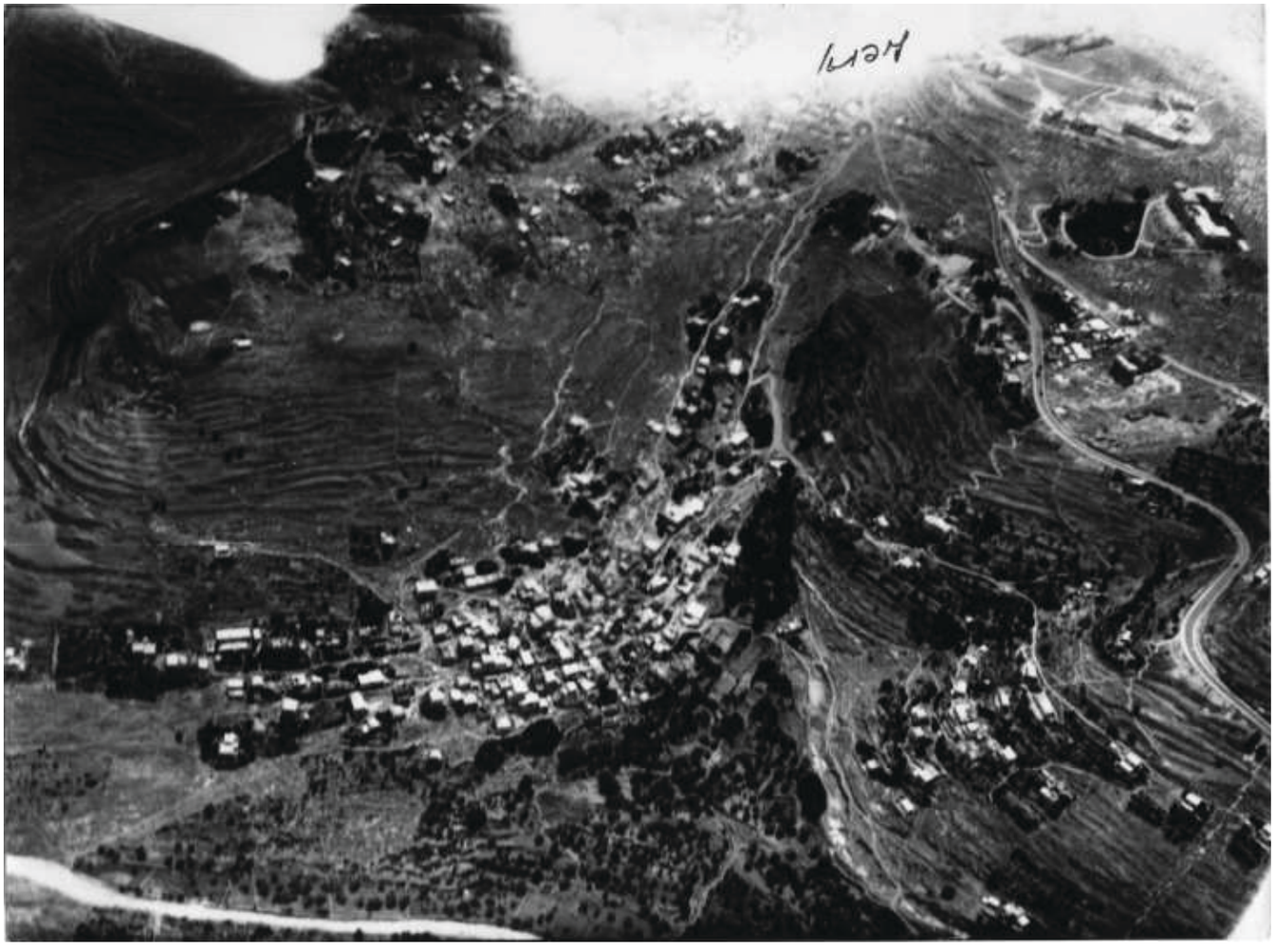

اللوحة رقم 13 صورة جوية قبل عام ١٩٤٨

ثانياً: تاريخ لفتا

ليس سهلاً تتبُّع تاريخ طويل لقرية، فالأمر يختلف كلياً عن كتابة تاريخ المدن، بحيث لا تتمتع الأرياف بقَدْر وافٍ من المعلومات أو الوثائق، التي تساهم في كتابة تاريخها، ولا تأتي إلى ذكرها المصادر التاريخية، إلاّ فيما ندر.[13] والأمر الآخر الذي يشكل عائقاً أمام دراسة تاريخ لفتا، علمياً ومنهجياً، أنه لم تجرِ حتى الآن حفريات أثرية منظّمة في موقع جذر القرية، وأن ما حُفر يقع في أراضيها، وعلى أطرافها الغنية بالآثار، وخصوصاً في المناطق التي نُفذت فيها مشاريع بناء أو مد شبكات الطرق، لكن لم تُنفَّذ حتى الآن حفريات منظّمة بين البيوت القديمة، أو تحتها. لذلك، يمكن الاستدلال بنتائج هذه الأبحاث التي تمت على الأطراف، لكن لا يمكن الجزم بانطباقها تماماً على جذر القرية، إلى حين إجراء حفريات منظمة داخله، الأمر الذي يدفع إلى الاعتقاد أن هذا الجذر يعود إلى العصر البرونزي، بناءً على بعض الشواهد المكتشَفة حتى الآن. لكن المسح المعماري، الذي جرى سنة 2016، ساهم، بفعالية، في إضفاء مزيد من المعلومات التاريخية عن لفتا، وقرّبها من الواقع، بعيداً عن الروايات الدينية، كما سيأتي شرحه لاحقاً.

ظهرت قرية لفتا إلى الوجود، في الغالب، في العصر البرونزي، واستمرت حتى هُجِّر سكانها سنة 1948. وبقي جزء من مبانيها، بعد تدمير الجزء الآخر. ولا يعني هذا التواصل الطويل، بالضرورة، أن القرية كانت موجودة دائماً في كل الفترات، فمن الممكن أن الاستيطان البشري انقطع في فترة ما، ثم أعيد استيطان القرية من جديد. لكن هذا الأمر لا يمكن التوصل إليه إلاّ بالحفريات المنظمة، ولا سيما أن نتائج المسح الأثري والمسح المعماري، اللذين نُفذا، سنة 2016، قرب جذر قرية لفتا، أظهرت أنها تتكون من 10 طبقات تاريخية (أثرية).[14] لذلك، سيتم الاعتماد، في هذه المراجعة السريعة، على ما توفَّر بين أيدينا من معلومات، سواء تلك التي كشفت عنها الحفريات، أو تلك المعتمدة على المصادر التاريخية والوثائق، من دون أن نتجاهل، طبعاً، التاريخ الشفوي الذي يمكن الاستدلال عليه أحياناً، وخصوصاً التاريخ الحديث والمعاصر.

تم الكشف عن قبور صخرية قرب عين لفتا، تعود إلى العصر البرونزي الوسيط الثاني (2000 – 1500 ق.م.)، الذي شهد الموجة الثانية لنشوء المدن في فلسطين، بعد دمار مدن العصر البرونزي الأول. وتشكل هذه القبور جزءاً من الفترة والثقافة الكنعانيتين في فلسطين، وهي قبور يتكرر وجودها في كثير من المواقع التي تعود إلى الفترة نفسها.

ويبدو أن هناك تواصلاً في الاستقرار في لفتا، بحيث اكتُشفت قبور تعود أيضاً إلى العصر الحديدي الثاني (900 – 586 ق.م.)، الذي يُعتبر امتداداً للعصر الكنعاني المتأخر، لكن لم تُكتشف آثار مساكن تعود إلى هذه الفترات، وقد تقبع تحت جذر القرية التاريخي، أو في أي مكان آخر قريب لم يتم التعرف إليه، حتى الآن.

يصعب تأريخ كثير من المغاور التي تقع داخل جذر القرية (خمس مغاور ذات أحجام متعددة)، وسع بعضها الإنسان، وبقي بعضها الآخر على شكله الأصلي الطبيعي، لكنها شكلت، مجتمعة، خلال تاريخ لفتا، جزءاً لا يتجزأ من الفراغات التي استُخدمت للسكن، أو مخازن للغلال، أو معاصر للزيت. ولم يتم التخلي عن استخدام هذه المغاور لأغراض متعددة. وهناك مجموعة أُخرى من المغاور، استُخدم بعضها لأغراض الدفن،[15] وبعضها الآخر من أجل السكن الدائم أو الموسمي، مثل تلك التي تقع على السفح الشرقي. كما أن هناك معصرة عنب (نبيذ) محفورة في الصخر، لكن شكلها الأصلي تأثر بسبب قطع جزء من الصخر. ويمكن الإشارة إلى بعض الأشكال المحفورة في الصخر، في أكثر من موقع، والتي تدل على استخدامات متعددة، علاوة على تلك الموجودة داخل الجذر التاريخي، بحيث يُعتقد أن بعضها كان قبوراً.[16] ومن المفيد القول إن هذه المغاور شكلت المركز الأول لاستقرار الإنسان في موقع جذر لفتا التاريخي، وبُدئ لاحقاً ببناء البيوت، انطلاقاً من المغاور، واعتماداً عليها.

يعتقد البعض أن موقع القرية ذُكر في الوثائق المصرية (الفرعونية) التي تعود إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد (نحو سنة 1220 ق.م.)،

المصدر: آفي مشيح، «لفتا توثيق ومسح أولي» (القدس: سلطة الآثار الإسرائيلية، 2008).

اللوحة رقم 14 تشكيلات صخرية غير محددة الاستخدام

بحيث تذكر الوثائق وجود قلعة تتحكم في الطريق وفي الموقع. كما احتل المصريون الفراعنة الموقع، بناءً على ذلك، وقاموا بأعمال البناء فيه، لكن لم يُكتشَف ما يدل على هذا الوجود.[17] وهذا الاعتقاد مبني على ذكر اسم «مرنفتح التي تقع على الجبل» في إحدى البرديات. وسارع المتلهفون إلى إثبات أي شيء يتعلق بتاريخ فلسطين، إلى القول إن المقصود بهذه التسمية هو موقع لفتا. وهذه حجة واهية، في الحقيقة، ولا يمكن الركون إليها، لا من قريب أو من بعيد، وخصوصاً أنه لم يثبت وجود أي دلائل أثرية من هذه القلعة. وحتى الفخار، الذي اكتُشف في لفتا، لا يعود إلى الفترة المذكورة. لذلك، سيبقى السؤال مفتوحاً بشأن إن كانت «مرنفتح» هي لفتا أم لا، حتى يتم اكتشاف دلائل أُخرى تؤكد هذا التحديد، أو تنفيه.

لم تثبت الحفريات الأثرية، أو أعمال المسح التي تمت، وهي متعددة، وجود أي دلائل تربط بين قرية لفتا الحالية ومي نفتوح، المذكورة في «العهد القديم» (سِفر يوشع).[18] وذكرُ مي نفتوح (ماء نفتوح) في «العهد القديم» يعني ذكر نبع ماء، ولا يعني، بالضرورة، وجود مستقر بشري في الموقع، مع إمكان وجود ذلك، علماً بأن علماء التوراة والجغرافيا التاريخية والآثار يعتبرون، في أغلبيتهم، أن وجود مستقر بشري في موقع لفتا أمر مسلّم به. ولا شيء من المخلّفات الأثرية، التي عُثر عليها في الموقع، يُثبت أي علاقة بين لفتا ومي نفتوح التوراتية، ولم يُكتشف أيضاً أي بيّنات أثرية تعود إلى فترة يوشع بن نون المذكورة، والتي يرد ذكرها في المراجع الإسرائيلية، في فترة الهيكل الأول. لذلك، من الأفضل، ربما، إبقاء الأمر هنا على ما يمكن إثباته، ويُترك غير ذلك فرضيةً يمكن العمل عليها في المستقبل، في حال توفُّر دلائل جديدة تؤكد هذه العلاقة، أو تنفيها. واعتمد كل مَن ربط بين لفتا ومي نفتوح، في الواقع، فقط، على نصوص «العهد القديم»، التي أصبحت الآن ضمن المراجعات النقدية لأغلبية الباحثين في تاريخ فلسطين القديم. لذلك، يجب إخراجها من المسلّمات، ووضعها تحت مجهر البحث العلمي. وغاية الأمر، في ذلك، أن الربط بين مي نفتوح ولفتا، قد يكون صحيحاً، لكن لا يمكن إثباته، على الرغم من قيام عدد من الباحثين بعدة محاولات لتأكيد ذلك، منذ القرن التاسع عشر، لكن جهودهم لم تتكلل بالنجاح.

وحلل الاسمَ ناصر الدين أبو خضير، ونقتبس هنا ما كتبه في هذا الشأن:

> لفتا: يرى بعض الباحثين أن قرية لفتا تحريف لاسمها الكنعاني القديم: نِفتوح נפתוח بمعنى الفتح، وسميت في العهد الروماني مي نِفتوح מי נפתוח؛ إذ يوجد في القرية عين ماء تصب في وادي لفتا، المتصل بوادي الصرار. ومن الممكن أن تكون «لِفْتا» مشتقة من الجذر: لفت في الأكّادية lapatu، بعكس ما ينظّر به أصحاب المنهج التوراتي، ويعني: يدهن نفسه بالطين، فربما كان الاسم مرتبطاً بالتربة الطينية، أو مكان صنع الطين، المرتبط بصناعة الفخار، ولا سيما أن فيها عين ماء. وفي العبرية التوراتية: تعني: يلمس نفسه، أو من السريانية: لفتا «نبات اللفت» (turnip)، وهي كذلك في الأكادية، والآرامية الفلسطينية، والآرامية البابلية.[19]

لم يتبيّن، حتى الآن، أن القائد الروماني فسبسيان دمر القرية وأحرقها كلها، سنة 70 ميلادية، على الرغم من أن عدداً من الباحثين يوافق على أنها أضحت، في تلك الفترة، قرية كبيرة، وتطورت إلى مركز

إداري يحمل اسم بيت لفتافي، وذلك بناءً على رواية المؤرخ اليهودي الروماني فلافيوس يوسيفوس بن متتياهو (Flavius Josephus ben Matityahu).[20] إن الشك في هذا الأمر غير مُجد، إذ إن هناك رواية مؤرخ تدل على ذلك، لكنها لا تشير إلى تطور، أو تحول إلى مركز إداري بتاتاً. فالرواية غير مختلَقة طبعاً، لكن ثمة مشكلة تكمن في التأكد من أن المقصود هو علاقة بيت لفتافي (Bethletephon) بلفتا،[21] لا علاقة Bethlephtephon بها، وهو أمر لا يمكن نفيه بصورة مطلقة، لكن لا يمكن التسليم به أيضاً، فالتحديد هنا غير دقيق وغير واضح. ويذكر النص أن فسبسيان وصل إلى عمواس، حيث عسكر هناك وترك جيشه الخامس، ووصل منها إلى بيت ليتفون (كما كُتبت أعلاه)، بحيث دمر هذا الموقع بإشعال النيران فيه وفي كل المواقع القريبة منه. كما أن من المستغرب تحول لفتا إلى مقر إداري في هذه الفترة، وهي لا تبعد سوى عدة كيلومترات عن القدس (الهيروديانية)، التي كانت مدينة كبيرة بالتأكيد، وربما وصل عدد سكانها إلى مئة ألف نسمة. أمّا المشكلة الثانية في هذا الأمر، فتكمن في أنه لم تُكتشف أي آثار مادية تعود إلى هذه الفترة. ولا ينفي هذا الأمر، أبداً، أننا ننطلق من احتمال كبير فحواه أن موقع لفتا كان آهلاً في الفترتين الهلنستية والرومانية. وثمة بعض الحجارة المتناثرة في الموقع، والتي يمكن تأريخها وإعادتها إلى هذه الفترة. كما أن بعض القبور الموجودة، والتي ذُكرت أعلاه، يدل على استخدام المنطقة في هذه الفترة. وقد تكون لفتا الهلنستية – الرومانية تقبع تحت مباني جذر القرية، ولا يمكن حسم هذا الأمر طبعاً من دون حفريات منظّمة. لكن ثمة حجارة مهذبة تعود إلى هذه الفترة، جرى التعرف إليها في أقبية بد الزيت الجنوبي (مسح سنة 2016). أمّا القول إن المنطقة جاذبة للسكن، فالنبع وحده كفيل بضمان ذلك، بحيث لا يُعقل ألاّ يتم استغلال منطقة لفتا للأغراض الزراعية، في ظل وجود هذا النبع الغزير، الأمر الذي يبرر وجود مستقر بشري على مر التاريخ.

أمّا في الفترة البيزنطية، فلم يرد في المصادر المتعلقة بالقرية سوى التسمية، نيفتو،[22] وهو اسم يأخذ الشكل السرياني، وذكره أحد الرهبان (كيريلوس من بيسان) في القرن السادس الميلادي، في معرض ذكره الجفاف الذي أصاب فلسطين، ويدلّل على شدته بقوله إن حتى مياه عين نيفتو جفت.[23] وعلى الرغم من وجود مشكلة في التأكد من هذه الرواية، التي تعتمد على ذكر نيفتو فقط، من دون ذكر المنطقة التي يقع فيها هذا النبع، فإن ربط ذلك بالماء، وتحديداً غزارة المياه، يقود إلى الاعتقاد بصحة الرواية، التي تذكر الماء أيضاً، ولا تقدم أي إضافة بشأن المستقر البشري؛ أي أننا لا نعرف إن كان هناك قرية تحمل هذا الاسم، أم لا. لكن كثافة الاستيطان البشري في الفترة البيزنطية، وخصوصاً في ريف القدس، من كل الجهات، كما أثبتت الأبحاث الأثرية، لا تدع مجالاً للشك في أن موقعاً، مثل لفتا بنبعها الغزير، تُرك من دون وجود قرية فيه. ونميل إلى الاعتقاد أن لفتا كانت مستقراً في أثناء الفترة البيزنطية، من خلال تحليل الاستيطان البشري في منطقة القدس في تلك الفترة.

ثمة استنتاج مهم يُستمَد، في أي حال، من الروايات السابقة، على الرغم من شح المعلومات وعدم القدرة على التأكد من دقتها، بصورة جلية. وتفيد هذه المعلومات بأن نبع لفتا كان ذا درجة كبيرة من الأهمية، ومعروفاً في المنطقة، وقد يكون سبب ذلك غزارته في منطقة تُعتبر فقيرة نسبياً بمصادر الماء. ويمكن اعتباره أغزر الينابيع القريبة من القدس، وقد يكون السبب أيضاً عذوبة هذه المياه، الأمر الذي تؤكده مصادر القرن التاسع عشر.

تختفي القرية بعد ذلك في المصادر التاريخية المتوفرة، مع احتمال كبير مفاده بأنها استمرت في الوجود بعد الفتوحات الإسلامية، فلا شيء يجعل قرية لها موقعها تختفي، وخصوصاً بسبب الحيوية الكبيرة التي احتلتها القدس في الفترة الأموية، نتيجة وجود مشاريع المسجد الأقصى ودار الإمارة الأموية، ومشاريع تحصينية أُخرى، ونشوء عاصمة فلسطين في مدينة الرملة، وهو أمر لم يتغير كثيراً نتيجة الأمر الواقع، خلال الفترة العباسية، الأمر الذي يعني أن طريق القدس – الرملة تعزز، بحيث أصبح من أهم طرق فلسطين، نظراً إلى الاستثمار الأموي الكبير في كل من الرملة والقدس. يضاف إلى ذلك اكتشاف أحجار أميال أموية في هذا الطريق، تحدد المسافات وتساعد المسافرين، علاوة على اكتشاف خان أموي أو عباسي مبكّر يقع في قرية أبو غوش المجاورة،[24] وهو

ما يؤكد استمرار حيوية موقع لفتا الاستراتيجي على طريق القدس – الرملة. ويعني هذا أن لفتا البيزنطية استمرت، في الغالب، خلال الفترات الإسلامية المبكّرة، لكن لم تُكتشف شواهد تاريخية نصية أو أثرية بشأن هذه الفترة.

تظهر لفتا في المصادر، من جديد، في الوثائق الصليبية، تحت تسمية كليبستا (Clepsta).[25] ومن المستغرب ألاّ تظهر التسمية التوراتية في هذه الفترة، بحيث أعاد الفرنجة كثيراً من المسميات التوراتية والبيزنطية، وأحيوها من جديد، إلاّ في حال لم يستطيعوا ربط الموقع بمي نفتوح التوراتية، أو نيفتو البيزنطية، إن صح التشخيص أصلاً، وهو ما دعاهم إلى إطلاق تسمية جديدة عليها، أو حتى تُفَك الشيفرة الفلولوجية،[26] التي توضح كيفية تحوير نيفتو أو مي نفتوح السامية إلى كليبستا اللاتينية.

هناك بقايا معمارية ظاهرة في جذر القرية، تعود، في الغالب، إلى الفترة الصليبية. وهذه البقايا المعمارية القليلة المتبقية (طولها نحو 10 أمتار) مشيدة بحجارة ضخمة نسبياً (طول الواحد منها 0.60 – 0.80م، وارتفاعه 0.50 – 0.60م)، ومحاطة بإطار (زملة) ناعم، في حين أن سائر الحجارة عبارة عن صخور نافرة، قد تدل على وجود مزرعة كبيرة،[27] كما جرت العادة في أرياف فلسطين في هذه الفترة، بحيث انتشرت المَزارع الصليبية، وشُيدت على الأراضي مبانٍ ضخمة أشبه بالقلاع، سكنها السيد الإقطاعي الإفرنجي. وشُيدت أيضاً مبانٍ مرتفعة وكبيرة، ومعقودة بعقود برميلية سُميت بوبرية، ربما تكون عبارة عن إسطبلات للبقر.

اللوحة رقم 15 حجارة صليبية مهذبة في مبنىً في القرية

صحيح أننا لا نعرف شكل المبنى،[28] الذي ما زال بعض حجارته في الموقع، ولن يتم التحقق إن كان هذا المبنى عبارة عن بوبرية،[29] أم أنه كان قصراً صغيراً لإقطاعي (Burg)، إلاّ من خلال حفريات أثرية تجري فيه. ويذكر بنفنيستي لفتا كمستعمرة صليبية موقتة، أو كمزرعة صليبية عائلية.[30] وتم الكشف عن جزء من قاعة مربعة الشكل، تستند إلى مجموعة من الدعائم، في المسح الذي نفذه المهندس المعماري المتخصص بحماية التراث، آفي مشيح، سنة 2016. وجرى، بعد ذلك، تخيّل ما تبقى من المبنى، الذي يربض على أساسات هلنستية ورومانية، واعتُبرت مزرعة صليبية، وطُوِّر هذا المبنى ووُسِّع لاحقاً في الفترة العثمانية، ومن الممكن أن يكون ذلك قد تم قبل هذا التاريخ (أيوبي/مملوكي).

لا شيء يحول دون تأريخ مكونات معمارية أُخرى في جذر لفتا التاريخي كبقايا صليبية، ومنها أيضاً قاعة معصرة الزيت الكبيرة، حيث يمكن مشاهدة بعض الحجارة المهذبة على الطريقة الصليبية، وقد أُعيد استخدامها في المبنى من جديد. ويوحي شكل العقد البرميلي للقاعة المذكورة بأنه قد يكون قاعة تنتمي إلى الفترة الصليبية، وهناك احتمال لتأريخ، يعود إلى الفترة نفسها، لقاعات قديمة أُخرى تشبه بد الزيت، ومعقودة بعقد برميلي مدبب في جذر القرية. ويذكر دنيس برنغل (Pringle) وجود «مبنى له ساحة في مركز القرية، يتكون من أربعة عقود برميلية متوازية، وله ساحة سماوية في الجهة الجنوبية، ترتبط بحديقة مدرجة، وفيها قناة ماء تربطها بالنبع. ويوجد، بالإضافة إلى ذلك، عقود تحتوي على بد زيت ومعصرة من طراز البرغي. وهناك بئر مسقوفة بعقد برميلي، في الشمال الشرقي من القرية، على بُعد نحو 500 متر في الوادي.»[31]

ولا يرد، بعد ذلك، ذكر لفتا في المصادر الأيوبية. لكن، حين جُمعت قطع من الفخار المكسر من داخل القرية، وُجدت بينها مجموعة جيدة من الفخار، تعود إلى الفترة المملوكية المبكّرة. ويؤكد هذا الأمر وجود لفتا في أثناء تلك الفترة.[32] لكن، لا يمكن تأريخ أي مبنى من المباني القائمة كبناء مملوكي، على وجه اليقين. أمّا المبنى الكبير الذي يربض على أساسات الجُدر الصليبية، المذكورة أعلاه، فلا شيء يمنع تأريخه ونسبته إلى تلك الفترة، وقد تكون إعادة بناء مبنى صليبي تمت في الفترة المملوكية المبكّرة، أو حتى قبل ذلك، في أثناء الفترة الأيوبية.

لا يعني عدم ظهور لفتا في المصادر الأيوبية، عدمَ استمرار وجودها. فالرواية الشفوية تربط بين لفتا وصلاح الدين وأحد الهكاريين،[33] بحيث تقول إن المصلّى/المقام، الذي يقع قرب المسجد، أو مكان المسجد نفسه، يعود إلى الشيخ سيف الدين، ويُطلَق عليه أيضاً اسم مسجد سيف الدين. وسيف الدين هذا، هو الأمير سيف الدين عيسى بن حسين بن قاسم الهكاري؛ أحد أمراء جند صلاح الدين، ويقال إنه استقر في لفتا بعد انتصار جيش المماليك على التتار في معركة عين جالوت سنة 1260م، وأوقف ربع أراضيها على مصالح التربة (المقبرة) والمسجد، في سنة 656هـ[34] الموافقة سنة 1258م. ولا يوجد شيء في المصادر الأيوبية يؤكد هذه الرواية، لكنها تمثل، في الحقيقة، تراثاً شفوياً مهماً، وتتلاءم، إلى حد بعيد، مع روح العصر الذي تُنسَب إليه؛ أي الفترة التي استقر فيها كثير من الأكراد في القدس ومحيطها، وفي غيرها من المدن والقرى الفلسطينية. وأكدت الوثائق العثمانية المبكّرة صحة هذه الرواية الشفوية، من خلال الوثائق الوقفية، كما سيرد أدناه، الأمر الذي يؤكد أن لفتا كانت قرية عامرة خلال الفترة الأيوبية، وأن مسجداً (مقاماً يضم قبر الشيخ سيف الدين) كان مشهوراً فيها، وكان لهذا المزار احترام كبير لدى السكان، ويزورونه بانتظام.

ارتبطت لفتا، لاحقاً، بالظاهر بيبرس الذي بنى خاناً على أراضيها،[35] لكن بناءه ارتبط بمدينة القدس، لا بلفتا، حتى لو شُيد على أراضيها. وتُضفي قصة تشييده معلومات مهمة بشأن لفتا خلال مطلع الفترة المملوكية، لذلك اقتضى تتبعها مع بعض التوسع، بحيث ذُكر الخان في كثير من المصادر المملوكية.

كان خان الظاهر بيبرس يقع في الجزء الشرقي من أراضي لفتا، المسماة الشيخ بدر، وأمر الظاهر بيبرس ببنائه تعبيراً عن إدراكه أهمية هذا الموقع الاستراتيجية، على طريق المواصلات، ليستريح فيه القادمون وعابرو السبيل من عناء السفر، وليتجهزوا فيه لمتابعة سفرهم والتزود بحاجاتهم من الأغذية والماء، ولضمان سلامة أرواحهم والتأمين على

أموالهم وبضائعهم. وعُرف هذا الخان بمساحته الكبيرة، وكان حوله بساتين وحدائق جميلة، وفي داخله مسجد، له إمام. وللخان مطبخ خاص ومخزن للحبوب، وفيه فرن يعمل بانتظام. وجاء في كتاب «بلادنا فلسطين» للدباغ وصف لهذا الخان، نورد منه ما يلي:

> وفي عام 661هـ نزل (الظاهر بيبرس) ببيت المقدس لتفقد عمارة حرمها وشؤونها... كما أمر ببناء خان خارج البلدة....[36]

أول من ذكر الخان، في المصادر المتاحة، كان أبو المحاسن بن شداد (ت. سنة 1285م)، الذي لازم الأيوبيين وعاصر الظاهر بيبرس، بحيث يذكر أن أوقاف الخان الكثيرة مكونة من كل من قرية الطرة في الأردن، وأراضي قرية المشيرفة في سورية، ونصف أراضي قرية لفتا. وذكر وجود طاحونة قمح وفرن، وأن الوقفية تتضمن صرف ريع الأوقاف على الخان ومصالحه، وعلى الخبز وإصلاح نعال المسافرين.[37]

على الرغم من ذكر الخان لدى ابن شداد، فإن أول ذكر محقَّق وموثَّق نجده لدى المؤرخ ابن عبد الظاهر (ت. سنة 1292م)، كاتب سيرة الظاهر بيبرس، والذي ذكر أن وقفية الخان، الواقع في القدس الشريف، قُرئت في شهر صفر (سنة 662هـ/1263م) في القاهرة، بحضور السلطان، وحُررت فيها شروط الوقف، وكُتبت عدة نسخ عن الوقفية، ووُقِّعت بحضور قاضي القضاة، تاج الدين.[38]

ويذكر، بعد ذلك بقرنين، ابن تغري بردي (ت. سنة 1470م)، صاحب كتاب «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»، تفصيلات كل من الوقفية والخان. ويبدو أنه قرأ نص الوقفية، أو نقلها عن مصدر آخر، بحيث يذكر ما نصه:

> ثم أمر الملك الظاهر أيضاً بإنشاء خان في القدس الشريف للسبيل، وفوّض بناءه ونظره إلى الأمير جمال الدين محمد بن نهار، ولمّا تم الخان المذكور أوقف عليه قيراطاً ونصف بالمطر (على الأغلب الطرة)، وثلث وربع قرية المشيرفة من بلد بصرى، ونصف قرية لبنى (على الأغلب لفتا بناءً على «عيون التواريخ» للكتبي)، يصرف ريع ذلك في خبز وفلوس وإصلاح نعال من يَرِد عليه من المسافرين المشاة. وبنى له طاحوناً وفرناً. واستمر ذلك كله.[39]

لم يُضف تتبُّع المصادر المملوكية الكثيرة، التي تذكر الخان، شيئاً جديداً ومفيداً إلى معلوماتنا بشأن تحديد مكانه، أو بشأن قرية لفتا، سوى وقف نصف أراضيها على مصالح الخان، وهي معلومة مهمة، تعبّر عن وجود قرية لفتا خلال الفترة المملوكية المبكّرة. ويدلل هذا الأمر أيضاً على وجودها في الفترة الأيوبية، إذ إن زيارة بيبرس وقرار إنشاء الخان حدثا بعد أقل من ثلاث سنوات على السيطرة المملوكية على القدس، والتي تمت بعد معركة عين جالوت (1260م)، الأمر الذي يؤكد، لا وجود القرية فحسب، بل أنها كانت ثرية بإنتاجها أيضاً، بحيث يستطيع نصف ريعها تقديم مساهمة أساسية في الإنفاق على الخان ومتطلباته الكثيرة والمكلفة، كما ورد في نص الوقفية المذكورة.

لكن أهم المعلومات التي وصلتنا من الفترة المملوكية، تعتمد على ما ذكره مؤرخ القدس مجير الدين الحنبلي (ت. سنة 1522م)، في كتابه «الأنس الجليل»، بحيث يذكر ضمن أعمال الظاهر بيبرس ما نصه:

> .... وعمّر الخان الكائن بظاهر القدس الشريف من جهة الغرب إلى الشمال المعروف بخان الظاهر وكان بناؤه في سنة اثنتين وستين وستمائة [هجرية] ونقل إليه باب قصر الخلفاء الفاطميين[40] ووقف عليه نصف قرية لفتا وغيرها من القرى بأعمال دمشق وجعل بالخان فرناً وطاحوناً وجعل للمسجد الذي فيه إماماً وشرط فيه أشياء من فعل الخير من تفرقة الخبز على بابه وإصلاح نعال النازلين به وأكلهم وغير ذلك وقد أخذ الوقف الذي بالشام وانقطع ما كان شرطه فيه من الخبز وغيره لفساد الزمان وتلاشي الأحوال.[41]

يبدو أن مجير الدين اطّلع على نص الوقفية، وهو أمر يتكرر في كتابه، الأمر الذي جعله يذكر مكوناتها بدقة. كما قربنا من تحديد موقع الخان، فهو لا يبعد كثيراً عن الزاوية الشمالية الغربية للبلدة القديمة.

وما ذكره يؤكده ابن كثير، الذي ربط بين مقبرة ماميلا (مأمن الله) والخان.[42] لذلك، نميل إلى تحديد موقع الخان قرب مقام الشيخ بدر، حين يؤكد ذلك مجير الدين في تحديده موقع المقام، بحيث يذكر أنه قرب خان بيبرس، كما سيرد أدناه.

ويتضح، من خلال المصادر المملوكية، في أي حال، أن قرية لفتا كانت عامرة في بداية هذه الفترة. فإن كان الظاهر بيبرس أوقف «نصف أراضي قرية لفتا»، في مطلع الفترة المملوكية التي لا تبعد سوى بضع سنين عن الفترة الأيوبية، فهذا يعني أنها كانت موجودة خلال الفترة الأيوبية هذه، وعامرة جداً، حتى لو افتقدنا المصادر الأيوبية التي تؤكد ذلك، بالإضافة إلى صدقية رواية مقام سيف الدين، التي تأكدت في الوثائق العثمانية، الواردة أدناه، وبصورة جلية أيضاً في الروايات الشفوية المتواترة لأهالي لفتا، الذين يعتقدون، بناءً على ما ورد فيها، أن مصلّى/ مقام الشيخ بدر، الواقع في أراضي القرية، هو مصلى الشيخ بدر الدين، الذي يُعتبر من الصحابة الذين قدِموا مع الخليفة عمر بن الخطاب لفتح بيت المقدس.[43] لكن بعض مَن أرّخ القدس قال: إن هذا المصلى هو للشريف الشيخ شهاب الدين أبي الخير بادار بن عبد الله القونوي البصير، نزيل القدس، وتسمّيه العامة الشيخ بدراً عوضاً عن بادار، وتعتمد هذه الرواية على ما ذكره مجير الدين عنه:

> نزيل القدس الشريف.... وقبره ظاهر بالقدس الشريف بالقرب من خان الظاهر، وهو معروف يُزار، وعنده إيوان به محراب على جانب الطريق، توفي يوم الجمعة ثامن عشر شعبان سنة 780هـ[44]

إذاً، تأكد موقع الخان، أي في حي الشيخ بدر، بالقرب من مبنى المقام، المعروف الموقع.[45] وما يسميه أهل لفتا مصلى، أو مقاماً، ما هو إلاّ قبر الشيخ بدر (بادار)، وإلى جانبه إيوان فيه محراب. والمقصود بالإيوان، في الغالب، هو مبنى مفتوح من كل الجهات، تعلوه قبة.

ويبدو أن مقام الشيخ بدر تهدم نتيجة الأمطار الغزيرة، فأعادت لجنة الأوقاف المحلية بناءه من جديد، سنة 1935.[46] ويعني هذا الأمر أن المبنى ظل موجوداً بعد سنة 1948.

يمكن التوصل إلى نتيجة مفادها بأن الجزء الأساسي والأوسع من جذر القرية، يعود إلى ما قبل الفترة العثمانية، من خلال البقايا المعمارية التي يصعب تأريخها فيه. ويتألف هذا الجذر من أكثر من خمسين غرفة وقاعة، بأحجام وأشكال متعددة، لكنها كبيرة نسبياً،[47] وخضعت أغلبيتها لترميمات وإعادة بناء، عدة مرات، الأمر الذي أفقدها هويتها الأصلية. وطغت عليها التطورات التي شهدتها خلال الفترة العثمانية المبكّرة. ويجب عدم الأخذ بتاريخها العثماني فقط، وخصوصاً ما يتعلق بالقاعات الكبيرة في هذه المباني، بالإضافة إلى مجموعة من المباني المشيَّدة بحجارة كبيرة مهذبة، لها إطار جانبي، ومن الواضح أن أساساتها قديمة وحجمها كبير، وتصل مساحة بعضها إلى 16 متراً عرضاً و18 متراً طولاً، بل يجب العودة بتاريخها، أيضاً، إلى فترات أقدم من ذلك كثيراً، وربما إلى الفترة الرومانية أو البيزنطية، وتضم أيضاً بعض مباني معاصر الزيت والبقايا الصليبية، التي شُيدت على أساسات قديمة، كما ذُكر سابقاً. وإن إجراء مزيد من الدراسات والحفريات في الموقع كفيل بإعادة تحديد الفترات التاريخية التي مرت على لفتا، وهو أمر قد يحمله المستقبل.

من الصعب تأريخ المبنى الكبير، المعقود بعقدين برميليين (barrel vault)،[48] والذي يحتوي على بد معصرة الزيت، التي تضم مجموعة من حجارة الرحى. ويتوافق شكله مع الاستخدامات الصناعية، فوجود حجر البد فيه قد يدل فعلاً على أنه شُيد، في الأساس، ليكون معصرة للزيت. إن تنظيف المبنى من الحجارة المتراكمة على أرضه، ورفع التراب، سيكشفان مزيداً من المعلومات عن المبنى، الذي لا يمكن أن يوحي، من خلال شكل قبوه (عقده)، بأنه بُني بعد القرن السادس عشر. كما أنه يحتوي على إضافات من الفترة العثمانية، بحيث اقتُطعت أجزاء منه، وحُولت إلى بيوت فلاّحية. فإن كان تقديرنا تاريخه يقترب من الدقة، فهذا يعني أن لفتا كانت تمتلك، في القرن السادس عشر، في أقل تقدير، معصرة زيت ضخمة تلبي حاجتها وحاجة القرى المجاورة، وربما كان فيها أكثر من معصرة واحدة، بحيث وصل عدد ما اكتُشف فيها حتى الآن إلى ست معاصر،[49] وهذا الأمر يؤكد ما جاء في السجلات العثمانية، التي اعتبرت لفتا قرية كبيرة، بالاعتماد على عدد سكانها وحجم إنتاجها الزراعي.

اللوحة رقم 16 معصرة زيت في القرية

يمكن القول، بالتالي، إن الجذر الحالي[50] للقرية يعود إلى الفترة الرومانية، في أقل تقدير، وقد يكون أقدم من ذلك كثيراً، بناءً على البقايا المعمارية وما جُمع من قطع فخّار من بين الأبنية، ومن داخلها. واستُخدم الجذر نفسه أيضاً في الفترتين التاليتين (البيزنطية والأموية). أمّا المرحلة الثانية، والتي نملك أدلة واضحة عليها، فهي الفترة الصليبية، التي سبق أن أشرنا إليها أعلاه. ويبدو أن كثيراً من مباني جذر لفتا التاريخي شُيد على البقايا التي تعود إلى الفترتين الرومانية والبيزنطية، علاوة على البقايا العائدة إلى الفترة الصليبية. لذلك، نميل إلى تأريخ عدد من المباني المشيَّدة فوق المباني التي تعود إلى الفترة الصليبية وما قبلها، أي إلى الفترتين الأيوبية والمملوكية، مع الأخذ في الاعتبار إعادة البناء والترميم في الفترة العثمانية، والتي أعادت تشكيل جذر القرية وتوسيعه. ولا ينفي هذا الأمر بناء مزيد من المباني في الفترة العثمانية، وتوسيع المباني القديمة. ويمكن القول، نتيجة ذلك كله، إن الجذر الحالي، فيما يتعلق بهيئة مبانيه وشكلها ونسيجها الحضري، هو قرية عثمانية. إن الدراسة المتأنية للبقايا المعمارية، وخصوصاً تلك المطمورة تحت الركام، والتي يمكن تقدير وجودها من تركيبة البيوت الواقعة في المنحدرات، ستكشف، بالتأكيد، عن مكونات تعود إلى أغلبية تلك الفترات المذكورة.

يمكن الاستدلال أيضاً على استمرارية القرية وتجذرها، من خلال أنها تظهر قرية كبيرة مستقرة يعيش فيها نحو 396 نسمة، بعد نصف قرن على بداية الفترة العثمانية (سنة 1596م). لذلك، فإنها كانت من أكبر قرى ناحية القدس. وتُظهر سجلات الضرائب أنها وافرة الإنتاج، فيما يتعلق بالحنطة والشعير والزيتون والفواكه والكرمة.[51] إذاً، لا يُعقل أن تكون هذه القرية قد تأسست في بداية الفترة العثمانية،[52] وبلغت هذا التطور كله خلال بضعة عقود. لذلك، يمكن الاستنتاج أن لفتا كانت قرية مهمة خلال الفترة المملوكية، ويبدو أنها توسعت مع بداية الفترة العثمانية، بسبب الأمان النسبي الذي شهدته فلسطين بصورة عامة، وناحية القدس بصورة خاصة، علاوة على النمو الكبير الذي شهدته القدس بسبب مشاريع السلطان سليمان القانوني، التي استمرت طوال أربعة عقود تقريباً. ويدل على ذلك أيضاً أن لفتا تُذكر في السجل العثماني قبل ذلك، مثلاً سنة 970هـ/1562م، وأن عدد سكانها يتألف من 72 خانة،[53] الأمر الذي يؤكد أنها لم تشهد هجرات خارجية. فالنمو بين إحصاء سنة 1562م وإحصاء سنة 1596م، لم يتعدَّ النمو الطبيعي خلال السنوات الأربع والثلاثين التي تفصل بين الإحصاءين، وذلك على اعتبار أن الخانة تعني خمسة أفراد، كما هو متعارف عليه بين الباحثين، وهذا يعني أن سكان لفتا بلغوا نحو 350 نسمة سنة 1562. فزيادة قدرها 46 نسمة طبيعية جداً، بل هي منخفضة نسبياً، آخذين في الاعتبار نسبة الوفيات المرتفعة ومعدل الأعمار القصير. ويجب عدم اللجوء إلى تفسير النمو خلال الفترة العثمانية عبر هجرات إلى القرية، وهو سياق طالما تحدث عنه مؤرخو هذه الفترة، كأن فلسطين تم استيطانها من جديد. وهذا لا ينفي طبعاً قدوم عائلة أو أفراد من مكان آخر، واستقرارهم في قرية لفتا، وأن آخرين تركوها. فمثل هذا الحراك طبيعي جداً، ومتعارف عليه، نتيجة أسباب متعددة، منها النَّسب، أو الجلاء القسري عن قرية، والانتقال إلى قرية أُخرى.[54]

من المعلوم أن نحو نصف قرية لفتا، في عهد الدولة العثمانية، كان موقوفاً، مناصفة، على مصالح مسجد الصخرة المشرفة ومسجد إبراهيم الخليل (عليه السلام) في الخليل. وما يدلل على أهمية لفتا وحجمها المميز، منذ مطلع الفترة العثمانية، أنه كان لها صوباشي، وهي وظيفة حظيت بها، عادة، المدن والقرى المهمة، مثل القرى التي كانت موقوفة على مبرة خاصكي سلطان (تكية) في القدس. وكانت مهمة الصوباشي، طبعاً، حفظ الأمن والنظام، والقبض على الخارجين على القانون، والتنسيق الدائم مع قاضي القدس الشرعي، فيما يتعلق بالحياة العامة في لفتا.[55]

ويبدو أن الأوقاف بدأت، بالتدريج، بالزحف إلى لفتا في وقت مبكّر. ونفتقر، في حقيقة الأمر، إلى الشواهد بشأن بدايات الوقف فيها، إلاّ ما ارتبط بخان بيبرس، الذي سبق أن أشرنا إليه، وكذلك مسجد سيف الدين. ويمكن تتبُّع نمو أعداد الوقفيات المطّرد في أراضي لفتا، مع مطلع الفترة العثمانية، بسبب توفر سجلات المحكمة الشرعية في القدس. وعدم تأكدنا من حدود أراضي قرية لفتا، ومن أشكال الملكيات فيها، بصورة دقيقة، كان سبباً في عدم إدراج الأوقاف الواقعة في مناطق

الشيخ جراح وأرض السمار والمصرارة، وفي أراضٍ أُخرى، ربما كانت جزءاً من أراضي لفتا في تلك الفترة، على الرغم من تبعيتها لقرية لفتا، كما حُددت لاحقاً، في أقل تقدير، لكن ليس سهلاً تحديد حدودها في كل مراحل الدولة العثمانية. والوقفيات، التي يمكن التعرف إليها وسردها هنا، ليست حصرية، بحيث اعتمدت أساساً على ما نُشر من فهارس للسجلات، لكن يمكننا أن نعتبر أنها تمثل أغلبية الأوقاف، وهي:

أُولى الوقفيات المسجلة في الفترة العثمانية،[56] تعود إلى الحاج إبراهيم بن محمد بن سالم، وإلى سنة 1532م، بحيث أوقف على مصالح المسجد النبوي في المدينة المنورة، ثم على فقراء القدس الشريف ومساكينها، ثمانية قراريط من مزرعة تقع في برج عرب، ومزرعة أُخرى في المنطقة نفسها، المعروفة بالبركة.

وأوقف كل من قاسم بك وحاجي بك، وكلاهما شغل منصب أمير لواء صفد ونابلس، مزرعة في قرية لفتا على الزاوية الخلوتية[57] في القدس، سنة 1532م.

وأوقف علاء الدين بن حسام الدين النقرلاري الأيوبي مزرعة تقع في برج عرب، على المسجد النبوي في المدينة المنورة، سنة 1538م.

وأوقف الشيخ شهاب الدين أحمد، ابن الشيخ زين الدين عبد الرحمن، ابن قاضي القضاة شيخ الإسلام شمس الدين محمد اليمانلي الداري الشافعي، مزرعتين في قرية لفتا، على قبة الصخرة، سنة 1544م.

وأوقف الحاج علي بن إبراهيم بن المروب عشرة قراريط في بد (معصرة زيت) يقع في قرية لفتا، على سماط المسجد الإبراهيمي الشريف، سنة 1546م.

وأوقف نجم الدين ابن القاضي شهاب الدين أحمد، ابن الصارمي صارم الدين إبراهيم، الشهير بابن الدين، ثمانية قراريط في مزرعة، ومزرعة كاملة، في قرية لفتا، على المسجد الأقصى المبارك، سنة 1564م.

وأوقف الحاج محمد بن الريس أحمد، وكيل خرج العمارة العامرة (خاصكي سلطان/التكية)، 12 قيراطاً في مزرعة تقع في قرية لفتا، على قبة الصخرة وسماط المسجد الإبراهيمي سنة 1583م.

وأوقف علاء الدين علي، قاضي القدس ابن القاضي حسن الكناني، 5 قراريط من 11 قيراطاً من أصل 24 قيراطاً على بد (معصرة زيت) يقع في قرية لفتا، سنة 1586م.

وأوقف المعلم قاسم بن ملحة 18 قيراطاً في مزرعة تقع في أرض برج عرب، على المسجد النبوي الشريف، سنة 1587م.

وأوقفت عائشة بنت أحمد الرومية مزرعة تقع في أرض برج عرب على المسجد النبوي الشريف، سنة 1588م.

وأوقفت صالحة بنت مصطفى ستة قراريط في مزرعة تقع في أرض برج عرب، على المسجد النبوي الشريف، سنة 1588م.

وأوقفت ستي بنت الحاج علي الثقابلي، أخيراً، ستة قراريط في مزرعة تقع في أرض برج عرب، على الحرم النبوي الشريف، سنة 1589م.[58]

من الواضح من عرض وقفيات تعود فقط إلى النصف الأول من القرن الأول للسيطرة العثمانية على فلسطين، أن هناك نوعين من هذه الوقفيات، أولهما (وخصوصاً في أراضي برج عرب) الخاص بتلك التي أُوقفت على المسجد النبوي في المدينة المنورة. أمّا النوع الثاني، فيتعلق بالأوقاف الأُخرى، التي ذهبت أغلبيتها إلى الحرم القدسي الشريف وسماط (تكية) الخليل.[59]

تحتوي سجلات المحكمة الشرعية في القدس في الفترة العثمانية، بالتأكيد، على كمية كبيرة من المعلومات، التي تلقي أضواء متعددة على تاريخ لفتا، وحياتها اليومية، وأوقافها، ومنتوجاتها الزراعية، وأسماء السكان، ونشاطاتهم الاجتماعية والاقتصادية، وعمليات بيع العقارات وشرائها... إلخ. ونورد هنا نموذجاً منها لفترة واحدة، هي الفترة 1654 – 1655م،[60] نظراً إلى نشر فهرس مختصر للوثائق الواردة في سجل المحكمة الشرعية هذا، الأمر الذي سهّل علينا البحث في هذه السجلات. ويمكن القول إن السجلات، التي تلت السجل المذكور، تتضمّن معلومات أكثر بشأن لفتا، نتيجة ازدياد ميل السكان إلى اللجوء إلى المحكمة وتسجيل مختلف أمورهم في سجلاتها، علاوة على وجود أوقاف في لفتا تقتضي المتابعة الإدارية من جانب قاضي القدس الشرعي، الذي حصّل الحقوق، ورفع الاعتداءات عن الوقف، وحاسب المعتدين عليه. ونورد، فيما يلي، سجلاً بالوثائق الواردة في سجل المحكمة الشرعية، المذكور أعلاه:

- وثيقة مؤرخة في 1654/11/6م، تتحدث عن ضمان زيتون في أرض قرية لفتا.
- وثيقة مؤرخة في 1654/12/12م، وهي عبارة عن تنبيه موجّه من القاضي إلى حسن بن محمد، من قرية لفتا، من أجل إحضار جرّة زيت طيّب بعد ثلاثة أيام.
- وثيقة مؤرخة في 1655/2/25م، تتحدث عن شراء غراس. ويرد اسم المشتري صلاح الدين بن علي بن أبي دبان، من قرية لفتا، والبائع هو محمد بن سالم. وعملية الشراء عبارة عن ثلاثة قراريط من غراس عنب وتين وزيتون في أرض لفتا.
- وثيقة مؤرخة في 1655/1/16م، تتحدث عن اتفاق على قسمة غراس والمحاصصة فيه بين صلاح الدين بن صالح ومحمد بن سالم، وكيل عقبة بنت داود وحمدة بنت ناسي. ويقع الغراس في قرية لفتا قرب وقف درغود.
- وثيقة مؤرخة في 1655/2/5م، وهي عبارة عن تنبيه، فحواه عدم زراعة أرض، وموجّه إلى أحمد بن نعيم، من بيت إكسا. والأرض متنازع على ملكيتها بين لفتا وبيت إكسا.
- وثيقة مؤرخة في 1655/2/18م، تتحدث عن إلزام بدفع ثمن بقرتين، بحيث يلتزم عمران بن عسكر، من قرية لفتا، بدفع ثمنهما إلى الحاج محمد السرمني.
- وثيقة مؤرخة في 1655/3/17م، تتحدث عن اعتداء جماعة من الفلاحين على شخص قرب قرية لفتا. وحضر صوباشي القدس مع المعتدى عليه علي بن خضر المغربي.
- وثيقة مؤرخة في 1655/6/30م، تتحدث عن شراء غراس. المشترية هي قادرية بنت زايد، من قرية لفتا، وعرّف بها صالح بن حسن بن أبي ذياب. والبائع هو حسن بن شريف بن جعوان. والغراس عبارة عن عنب وتين في واد صهيون، التابع لقرية لفتا.
- وثيقة مؤرخة في 1655/7/6م، تتحدث عن دعوى بسبب الضرب. المدعي هو مصلي آغا، الزعيم في القدس، وكيل صالح بن حسن، من قرية لفتا. أمّا المدعى عليهما فهما حسين بن بزر ومحمد بن موسى، من قرية صور باهر.
- وثيقة مؤرخة في 1655/8/14م، تتحدث عن شراء غراس عنب وزيتون وسفرجل وسويدا، في أرض خراج لفتا. المشتري هو محمد بن أبي النصر القليني، والبائع هو بدر الدين بن منصور النجار.
- وثيقة مؤرخة في 1655/8/14م، تتحدث عن ترتيب لوقف جمانة خاتون، من أجل مباشرة نجم الدين الداودي، المتولي على الوقف، في ذمة بدر الدين بن شهاب الدين، كمية من الغروش، وقد رُهن عليه غراس في أرض خراج لفتا.[61]

يلاحَظ، مما ورد أعلاه من الوثائق، كثافة ذكر لفتا في السجل. ويدل إجراء إحصاء أولي على ذكرها مرة واحدة في الشهر. ويمكن، بالتالي، تخيل الكم الهائل من المعلومات التي نستطيع استنباطها من سجلات المحكمة الشرعية، فيما لو دُرست كل هذه السجلات، التي تغطّي فترة 400 عام تقريباً، الأمر الذي يعني احتمال وجود أكثر من 5000 وثيقة بشأن لفتا. وبالتالي، هناك مجال واسع لكتابة تاريخها خلال الفترة العثمانية، اجتماعياً واقتصادياً وإدارياً. وسيظهر كمّ كبير من المعلومات في ثنايا الوثائق، على نحو يضيء على الفترات السابقة، وخصوصاً الفترة المملوكية، علاوة على رسم خريطة شبه مؤكدة لشجرة الحمائل فيها. كما يتضح من الوثائق أنواع المزروعات وقيمة الأراضي، ومختلف الأوقاف، سواء الذرية أو الخيرية (الصحيحة)، والمنازعات المتكررة بشأن الملكيات، ومسميات الأراضي والمواقع... إلخ. ويتطلب الوصول إلى هذه المعلومات عملاً شاقاً يدوم أعواماً، وهذا أمر خارج اهتمام هذا الكتاب، لكن لا بد من الإشارة إليه وإلى أهميته الفائقة. ويمكن لمثل هذه الدراسة أن يشكل نموذجاً لدراسة الريف الفلسطيني، اعتماداً على الوثائق، وقد تساهم في إعادة فهمنا تاريخ هذه الأرياف.

يمكن لنا، كي نتأكد من صحة الاستنتاجات التي توصلنا إليها، عرض الوثائق التي وردت في السجل رقم 152، والذي يغطي الفترة الممتدة من 13 صفر 1067هـ حتى 9 صفر 1068هـ والتي توافق الفترة الممتدة من 1 كانون الأول/ديسمبر 1656م حتى كانون الأول/ديسمبر 1657م [كذا]، أي أن الفترة التي يغطيها السجل هي سنة قمرية.[62] ويمكن لنا أن

نقابل بين الوثائق المتعلقة بلفتا، وبين سجل آخر، على سبيل المقارنة:

- وثيقة مؤرخة في 1657/1/27م، تتحدث عن خلاف بشأن غراس في قرية لفتا، أرض برج عرب،[63] بين المدعية حمدة بنت ريان، والمدعى عليه صالح بن مرعب.
- وثيقة مؤرخة في 1656/11/27م، تتحدث عن شراء غراس تين وسفرجل وتفاح، تقع في أرض برج عرب. المشتري هو محمود جلبي بن والي، كاتب وقف الصخرة. أمّا البائع فهو محمد العفيفي، المعروف بابن جماعة.
- وثيقة مؤرخة في 1657/1/6م، تتحدث عن شراء غراس العنب والتين والزيتون والسفرجل. المشتري يدعى جبران بن صلاح بن زاهر بن مرعب.
- وثيقة مؤرخة في 1657/1/29م، تتحدث عن شراء نصف أرض في برج عرب، مشتملة على غراس التين والزيتون والعنب. المشتري هو صلاح الدين بن برهان الدين الثري. والبائع هو الحاج مصطفى بن محمود القنواتي، الوكيل عن كريمة بنت عبد الولي، الطوبجي في قلعة القدس.
- وثيقة مؤرخة في 1657/2/7م، تتحدث عن خلاف على غراس في برج عرب. المدعي هو عسكر بن مرعب، والمدعى عليه هو صالح بن مرعب، والاثنان من قرية لفتا، وتم الأمر بحضور مندوب الباشا عثمان آغا كتخدا.
- وثيقة مؤرخة في 1657/4/4م، تتحدث عن بيع غراس في أرض سخيربا في قرية لفتا. المشتري هو صالح بن علي، من قرية لفتا، وقد اشترى ذلك من علي بن حسن بن شربانة. وشكّل ما اشتراه ستة قراريط من أصل 24 قيراطاً، مشتملة على تين وعنب وزيتون، وتقع في جوار كرم عبد الكريم الصامت وأرض وقف مراد باشا.
- وثيقة مؤرخة في 1657/4/14م، تتحدث عن إقرار بملكية غراس في أرض سخيربا في قرية لفتا. والخواجة إسماعيل والأستة إبراهيم بن الأستة خضر باعا الغراس لصالح بن أبي ذياب، من قرية لفتا.
- وثيقة مؤرخة في 1657/6/9م، تتحدث عن شراء كرم في أرض قرية لفتا. واشترى يحيى بن يحيى الرملي من الحرمة بركة بنت عصفور الكرم المشتمل على عنب وخوخ وسفرجل وعريشة. كما استلم متولي وقف جمانة خاتون، الشيخ نجم الدين الداودي، من البائع خمسة غروش للوقف.
- وثيقة مؤرخة في 1657/6/22م، تتحدث عن شراء كرم، إذ اشترى صالح بن علي، من لفتا، من أخيه علي، كرماً يُعرف بالحسنات في أرض برج عرب، وهو قريب من أرض عبد الكريم الصامت.
- وثيقة مؤرخة في 1657/8/23م، تتحدث عن حادث قتل، إذ قتل صالح بن حسين، وتم توثيق ذلك على يد صوباشي وكيل عثمان آغا كتخدا. وشهد على ذلك كل من الشيخ عبد الرحمن الصامت، والشيخ أحمد الصامت، وعيسى شيخ قرية دير ياسين، ومحمد أبي حرم من قرية المالحة، ودخل الله من المالحة، وعلي بن صالحة من لفتا، وطه بن عامر من لفتا، وصلاح بن الزعروب من لفتا، ومحمد من لفتا، ومرعب من لفتا.
- وثيقة مؤرخة في 1657/9/25م، تتحدث عن دعوى بسبب غراس عنب وتين في واد صهيون في أرض لفتا، بحيث ادعى صلاح الدين بن مرعب من لفتا على معالي صدقة.
- وثيقة مؤرخة في 1657/9/13م، تتحدث عن دعوى بسبب أرض في قرية دير ياسين، بحيث ادعى محمد بن باجس من لفتا، بشأن ملكية قطعة أرض، على صالح زوج رابعة، التي كانت زوجة لرمضان.
- وثيقة مؤرخة في 1657/9/26م، تتحدث عن دعوى بسبب غراس عنب وتين في واد صهيون في أرض لفتا. المدعي هو صلاح الدين بن مرعب، والمدعى عليه هو معالي بن صدقة.
- وثيقة مؤرخة في 1657/9/9م، تتحدث عن ضبط محصول قرية

لفتا الجارية في وقف الصخرة والمسجد الأقصى، بحضور المتولي أحمد الحامدي وكاتب الوقف محمود الحلبي. وذُكر في الوثيقة أسماء الكروم ومُلاّكها ومقدار ما يدفعونه إلى الوقف.

- وثيقة مؤرخة في 1657/11/13م، تتحدث عن دعوى. المدعي فيها هو نصرة الإسلام الغزي، والمدعى عليه هو صالح بن مرعب، من لفتا.[64]

بلغ مجموع الوثائق، التي أمكن التحقق منها في هذا السجل، خمس عشرة وثيقة، وقد يكون هناك وثائق أُخرى لم يُتحقَّق منها في السجل نفسه، أو سقطت سهواً. ويؤكد هذا الأمر ما استنتجناه، وفحواه أن لفتا تظهر في سجلات المحكمة الشرعية في القدس أكثر من عشر مرات في السنة الواحدة، وتوصلنا إلى ذلك بعد فحص سجلين، على سبيل المثال لا الحصر، وكان استنتاجنا متواضعاً، ويشكل أقل من الحد الأدنى.

تحتوي السجلات (الدفاتر) العثمانية في إستانبول، بالإضافة إلى سجلات المحكمة العثمانية في القدس، على كثير من المعلومات. فدفتر تحرير لواء القدس (T.S. 1515)، الذي يعود إلى سنة 945هـ/1538 – 1539م، يتضمن، مثلاً، ذكر وقف أولاد عيسى الهكاري في قرية لفتا، والذي يتألف من 24/6 حصة، ويتكون من 1000 أقجة.[65] ويتضح، حين يتكرر ذكر هذا الوقف، أنه موقوف على أولاده وذريته من بعده، فإذا انقطعت الذرية يصبح على مصالح سماط الخليل. ويتكون الوقف من أرض خارجة وبيت المادين، ويحصّل ريعاً قدره 2550 أقجة.[66] ويُذكر وقف على جامع القرية،[67] عبارة عن 24/4 حصة،[68] ويتشكل بدوره أيضاً من 1000 أقجة.

يفيد سجل أراضي لواء القدس، مثلاً، رقم 342، والمحفوظ في أرشيف رئاسة الوزراء في إستانبول، ويعود إلى سنة 970هـ/1562 – 1563م، بأن حصة وقف خليل الرحمن تشكل 12 قيراطاً من المحصولات ورسوم بادهوا،[69] وبلغت 3180 قرشاً.[70] ويرد أيضاً ذكر وجود وقف لزاوية الشيخ علاء الدين الخلوتي[71] في القدس، وهو عبارة عن غراس وأشجار زيتون إسلامي في قرية لفتا، يبلغ عددها 120 غرسة.[72] ويذكر هذا السجل ممتلكات وقف الأمير سيف الدين عيسى بن حسين (لا يذكره كهكاري)، والمتمثلة في فرن في محلة باب العمود، وهو خراب، وحصة من حاصل قرية لفتا تابع القدس الشريف، وهي ستة قراريط (1652 قرشاً)، وطاحونة خراب في باب العمود.[73]

وينص السجل أيضاً على قائمة طويلة بوقف الشيخ شهاب الدين أحمد بن زين الدين عبد الرحيم، المشهور بابن قاضي الخليل التميمي، تشمل ربع أرض في قرية لفتا، وفيها غراس مشمش وتين وغيرهما.[74] وآخر ما يذكره هذا السجل، هو ملك خاص تابع للشيخ إبراهيم بن شمس الدين محمد بن عطية، الساكن في القدس الشريف، وهو عبارة عن قطعة أرض فيها غراس عنب وتين وغيرهما، وقائمة أصولها في أرض وقف سيدي قيمر، المعروف بكرم النائب، خارج لفتا.[75]

أدى سوء إدارة الأوقاف من جهة، وكثرة الاعتداءات عليها من جهة ثانية، إلى أن تبقى المسائل المتعلقة بها موضوعاً شبه دائم في المحكمة الشرعية، فلا تمر سنة من دون التقاضي بشأنها، الأمر الذي اقتضى ظهورها المتكرر في السجلات. وكان هناك شكوى، مثلاً، فحواها أن متولي وقف الصخرة ومتولي وقف سيف الدين الهكاري في قرية لفتا، يقبضان رسوم الوقفين ومحصولاتهما، ويأخذان فوق ذلك زيادة عليها، على خلاف ما جرت العادة والتقليد، فمنع القاضي الشرعي هذا الأمر.[76] ويتكرر الأمر أكثر من مرة في أكثر من موقع، ولن يُفيد تتبّعه بحثَنا هنا في شيء، لكنه يساهم في متابعة أوضاع الوقف، وكيفية إدارته، ومقدار ريعه في كل فترة. كما يفسر كيفية تأكُّل المداخيل الوقفية، بالتدريج، وتتبّع الفساد الإداري، وقد يساهم في فهم مقدار التضخم الاقتصادي.

لربما يصل الاعتداء على الأوقاف إلى حد تدخل السلطات العليا، نظراً إلى تقاعس الإدارة المحلية عن القيام بذلك، أو نتيجة عدم قدرتها على رفع الضرر اللاحق بالوقف، بسبب تفشي الفساد المحلي، أو تسلّط أُولي الأمر. فنجد، على سبيل المثال لا الحصر، أن الاعتداءات على أراضي الأوقاف يقوم بها المسؤولون، الأمر الذي دفع والي الشام إلى إصدار مرسوم يمنع فيه جميع المسؤولين، ما عدا متولي الوقف، من التدخل في أوقاف المسجد الأقصى وقبة الصخرة. وضمن الأملاك الوقفية، التي ذُكرت في هذا المرسوم، قرية لفتا.[77] ويتضح أن هناك ذكراً لمالك

التيمار[78] في لفتا، وذلك في براءة همايونية/سلطانية، بحيث يرد ذكر اسم مراد.[79] وضمت لفتا أيضاً عبارة «خاص سلطاني»، وهو مسمى «برج عقبة» و«قطعة أرض مزهرة».[80] ويستمر ذكر مالك التيمار في السجلات لاحقاً، وبصورة دائمة، كما تُذكَر قيمة هذا التيمار.

وهناك معلومات مفيدة تتعلق بوقف «جامع وتربة سيف الدين الهكاري» سنة 970هـ/1562م، ويبلغ 125 أقجة.[81] ويحتوي الدفتر نفسه على معلومات قيّمة جداً بشأن كمية الإنتاج الزراعي الخاضع للضريبة، وخصوصاً الزيت والكروم (الدبس والزبيب). كما تُذكر ضريبة النحل والماعز، وضريبة عروس بادهوا.[82] ويرد ذكر أوقاف قبة الصخرة والمسجد الأقصى وجامع المغاربة، والبالغة 24/12 حصة من قرية لفتا، وكان مجموع العائد من هذا الوقف 3180 أقجة،[83] في الفترة 1538 – 1539م.

يبدو أن أهالي لفتا كانوا يعانون كثيراً نتيجة حجم الأوقاف، في مختلف أشكالها، في قريتهم، بالإضافة إلى سوء تصرف «أصحاب الحقوق» من المتولين والنظّار والإداريين والزعماء (أصحاب الأعشار)، والتي كانت تبتلع أجزاء كبيرة من غلالهم، علاوة على تسلّط الجباة و«أصحاب الحقوق»، فكان السكان يتهربون من دفع هذه المستحقات. وثمة نموذج لهذا الأمر ورد في وثيقة، في غاية الطرافة، تعود إلى سنة 1004هـ/1595م، وتظهر في سجل المحكمة الشرعية (رقم 77، ص 368)، وهي عبارة عن شكوى قدمها ضد أهالي قرية لفتا حسين آغا، الزعيم في لواء القدس، والذي له عُشر هذه القرية بسبب زعامته، مطالباً إياهم بأن يدفعوا إليه حقه، إلاّ إنهم رفضوا ذلك ورحلوا عن القرية. وادعى أنهم باتوا يأتون خلسة إلى القرية ويستغلونها، ويأخذون حقه وحق قبة الصخرة وحق وقف أبي القاسم الهكاري. وأمر القاضي، فعلاً، بإرسال كشف على لفتا، فتشكل فريق التفتيش من جمع غفير من سكان مدينة القدس والمسؤولين فيها، وذهبوا بصورة جماعية إلى القرية، فتوصلوا إلى حقيقة مفادها بأن أهل لفتا رحلوا فعلاً عنها، ولم يجدوا فيها أحداً، وقدموا تقريراً عن ذلك الأمر إلى القاضي. ويعني هذا الأمر أن نحو 400 نسمة، هم قوام سكان لفتا في تلك الفترة، هجروها موقتاً، تفادياً لدفع الضرائب. ولا يمكن، بالتأكيد، تخيل ذلك، إلاّ من باب الاحتجاج على حجم الضرائب والأوقاف التي تنتزع أكثر كثيراً من نصف عوائد القرية. ونستطيع، بالتالي، فهم ذلك الهجر الموقت، باعتباره تهرباً «ضريبياً». ونورد الوثيقة هنا، بسبب أهميتها، نموذجاً لما كان يجري في الأرياف:

> سبب تحرير الحروف بمجلس الشرع الأنور بالقدس الشريف المطهّر أجلّه الله تعالى حضر لدى مولانا قدوة القضاة.... محمد أفندي الموقّع خطه الكريم أعلا نظيره.... حسين آغا الزعيم بلواء القدس الشريف الجاري عُشر قرية لفتا تابع القدس الشريف في زعامته وأنهى أنه طلب من أهالي القرية المذكورة الذي له قِبَلهم فامتنعوا من أدائه ورحلوا من القرية المذكورة وجعلوا ذلك وسيلة إلى أنهم يأتون إليها خفية ويستغلون غلالها ويختلسونه ويأكلون حقه وحق وقف الصخرة الشريفة ووقف أبي القاسم الهكاري وطلب من مولانا الحاكم المشار إليه أن يجهز من قِبله أحداً للكشف على ذلك وتحريره فتوجه وصُحبته جمّ غفير من المسلمين الثقات الموحدين وحصل الوقوف على قرية لفتا المذكورة فوجد أهلها راحلين منها وليست فيها أحد أصلاً فرجع وأخبر مولانا الحاكم المشار إليه بذلك إخباراً مرعياً وسطّر ذلك بطلب المتولي المزبور بتاريخ رابع عشر شوال سنة أربعة وألف[84] (تنتهي الوثيقة بقائمة شهود الحال).

كان سكان لفتا يخرجون إلى الحقول المحيطة، ويختبئون عن أعين الجباة، حين يصل هؤلاء، أو عندما يتم إجراء الكشف، ثم يعودون من جديد إلى بيوتهم، بعد ذهاب فِرق التفتيش، ويمارسون حياتهم، بصورة طبيعية. ويظهر أن هذه الاحتجاجات والممارسات كانت تنفَّذ في كثير من قرى فلسطين.

ويبدو أن وقف الهكاري كان أحد أسباب تكرار ذكر لفتا في السجلات، وخصوصاً الخلافات التي كانت تنشب بين متولي أوقافه؛ فحدث، على سبيل المثال، خلاف في القرن الثامن عشر بين خليل أبو

الوفا الدجاني وأبي المواهب وأبي الهدى صالح محمد الإمام وبهاء الدين عبد اللطيف، بسبب تولية ونظارة وقف شرف الدين الهكاري، في كل من لفتا ودير عمار والطور وأبو ديس. واتفقوا، في ختام الخصام، على توزيع القرى بين المتولين، بحيث تولى خليل أبو الوفا وقف قرية لفتا، وحسن خليل وقف قرية دير عمار، وبهاء الدين وقف أبو ديس والطور.[85]

ويمكن، من خلال تتبّع هذه السجلات، استنباط مختلف أشكال الإدارة وأسماء من تولوا ذلك، وأنواع الوقف المتعددة، سواء وقف قبة الصخرة والمسجد الأقصى والمسجد الإبراهيمي وسماط الخليل، أو وقف مسجد القرية ومقامها، أو الوقف الذري، وأسماء الأراضي، وخصوصاً الموقوفة منها، بالإضافة إلى تلك التي تبادلتها الأيدي، بيعاً وشراءً، ونوع المزروعات، وكميات الإنتاج وحجم الضرائب، ومختلف النزاعات والشكاوى، وحتى حوادث القتل... إلخ. ويمكن تتبُّع أسماء الأفراد والعائلات من أجل المساهمة في رسم شجرة الحمائل في القرية. وهي معلومات مهمة جداً من أجل تقصّي تاريخ لفتا طوال الفترة العثمانية. وأظهرنا أعلاه نماذج لهذه المعلومات، لكن تتبُّعها يحتاج إلى نوع آخر من الدراسات المتخصصة بالفترة العثمانية، اعتماداً على سجلات المحكمة الشرعية والدفاتر العثمانية في إستانبول. لذلك، سنتجاوز هنا أحداث القرون العثمانية، لأن المعلومات الأكثر تكراراً في سجلات المحكمة الشرعية هي عمليات بيع أراضٍ في القرية وشرائها، علاوة على مختلف المسائل المتعلقة بجمع الضرائب، وارتباط ذلك بالأوقاف. وسيفيد هذا الأمر الدارس لتاريخ لفتا الاجتماعي.

يمكن القول إن تتبُّع تاريخ لفتا خلال الفترة العثمانية، بعد أن تعرفنا إلى طبيعة المعلومات الواردة في هذه السجلات، واعتماداً على ما ذُكر، سيضيف فهماً مغايراً للقرية، وقد يصحح معلومات متداولة بشأنها.

وسيعالَج تتبُّع تاريخ لفتا، اعتماداً على مصادر متعددة، بسبب تواتر المعلومات المتعلقة بها في القرن التاسع عشر، وليس من خلال سجلات المحكمة الشرعية، على الرغم من أهمية ذلك وضرورته، لأن الاهتمام ينصب هنا على التاريخ الحضاري، بدءاً بالتغيرات الكبرى التي شهدتها فلسطين بصورة عامة، والقدس بصورة خاصة، خلال هذا القرن، وتحديداً منذ الاحتلال المصري لفلسطين سنة 1831. فلقد كان موقع قرية لفتا، في سنة 1834، ساحة لمعركة خاضها الجيش المصري، بقيادة إبراهيم باشا، نجل محمد علي الكبير، ضد متمردين محليين من أعيان نواحي الريف الجبلي (شيوخ النواحي)، كانت على رأسهم شخصية ريفية بارزة (شيخ ناحية)، أدت دوراً مركزياً في تلك الفترة، هي الشيخ قاسم الأحمد.[86] وعلى الرغم من هزيمة هذا الأخير،[87] فإن عائلته بقيت ذات سطوة لأعوام كثيرة بعد هذه المعركة، وحكمت المنطقة الواقعة جنوبي غربي نابلس انطلاقاً من قريتيهما (دير إستيا وبيت وزن).[88] وما زال قصر الأحمد بارزاً في قرية بيت وزن، بحيث جرى ترميمه، وتستخدمه جامعة النجاح الوطنية في نابلس. كما أن قصره في دير إستيا ما زال موجوداً أيضاً.

اللوحة رقم 17 علاقة القرية مع الجنائن

اللوحة رقم 18 بعض البيوت المتفرقة، والتي بُنيت خارج الجذر التاريخي، في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

اللوحة رقم 19 صعود المباني على خلة الطرحة

يبدأ الرحالة والباحثون الغربيون، الذين اجتاحوا القدس وكتبوا عنها، بذكر لفتا في المصادر الكثيرة التي ظهرت، بصورة خاصة، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ويذكر القرية تيطس توبلر (Tobler)، في سنة 1854م، ويعتبر أنها أكبر حجماً من قرية بيت حنينا المجاورة، ويروي أن مياه عين لفتا العذبة والحلوة تُحمَل على الحمير وتُحضر إلى القدس، بسبب شح المياه فيها. كما يتحدث عن وجود أكثر من خمسين بيتاً متراصّاً فيها، ويشير إلى وجود مسجد كبير فيها، وأن حجمه غير معتاد في القرى. ويقدم وصفاً طوبوغرافياً تفصيلياً للقرية، ويذكر علاقتها بالقرى المجاورة، ويتحدث عن غناها بالمزروعات، ذاكراً، بصورة خاصة، الحمضيات والترنج[89] والإجاص والمشمش، وغيرها من الأشجار المثمرة، سواء تلك التي تعتمد على الري، أو التي تُروى من مياه الأمطار. كما يتحدث عن مبنى كبير معقود بعقد برميلي ضخم (قد يكون مبنى المعصرة). ويذكر أن سكان القرية حيويون ومضيافون، ويعملون بجد ونشاط، ويدفعون ضريبة الميري (المال الميري) التي تصل إلى 10.908 قروش، ويشير إلى وجود كثير من الحيوانات المخصصة للعمل والنقل (البغال) في القرية.[90]

اللوحة رقم 20 صورة لفتا، سنة 1898

المصدر: الأرشيف الصهيوني.

تظهر لفتا من جديد في كتب الرحالة، بعد ذلك بعقد، فذكرها فكتور غورين (Victor Guérin) سنة 1863م. ويبدو أنه أُعجب بها، فيقول إنها محاطة بالحدائق والبساتين المزروعة بأشجار الليمون والبرتقال والتين والرمان واللوز والمشمش. وارتبطت أغلبية هذه الأشجار بمصدر المياه، إذ إن بعضها، وخصوصاً الحمضيات، يحتاج إلى ري دائم. ويذكر غورين وجود قبور قديمة وجميلة، محفورة في الصخر، ويناقش طويلاً تسمية القرية ونبعها، ويربط ذلك بما ورد في «العهد القديم»، بحيث يناقش النصوص بالتفصيل، ويُعتبر نقاشه من أجل التسمية (من خلال اشتقاقها من تسمية «العهد القديم») الأساسَ الذي اعتمد عليه كثير من الباحثين حتى اليوم. وقدّر عدد سكانها بـ 600 نسمة، ويذكر أن لهم مسجداً من دون أن يورد أي تفصيلات بشأن ذلك.[91] ولم ينسَ ذكر وجود حجارة مربعة الشكل ومهذبة، تقع عند مدخل القرية، ويُعتقد أنها قديمة[92] (يشير، في الغالب، إلى الحجارة التي تعود إلى الفترة الرومانية). ولم يذكر، بالتأكيد، أشجار الزيتون التي غطت التلال الأكثر بعداً عن جذر القرية. ولم يعرف غورين حدود أراضي لفتا التي زُرعت حنطة وشعيراً، وخصوصاً تلك الواقعة قرب الشيخ جراح.

كان هناك 117 رب أُسرة (خانة) في لفتا، في سنة 1870م، بناءً على السجلات العثمانية، وبتعداد سكاني بلغ نحو 397 نفساً من الذكور. وهذا يعني أن السكان بلغوا نحو 800 نسمة. وهناك فهم مغاير لهذه الأرقام، في الحقيقة، إذ إن المقصود بالذكور القادرون على العمل، ويرتفع، نتيجة ذلك، عدد السكان إلى أكثر من ألف نسمة. ويشير إلى هذا الأمر كونراد شيك (Conrad Schick)، الذي عاصر هذه الأرقام، ويختلف مع هذه المعطيات، فيذكر أن عدد السكان من الذكور القادرين على العمل بلغ (سنة 1896م) 322 ذكراً، وأن مجمل السكان وصل إلى 966 نسمة.[93] ويمكن التحقق من منطقية هذا الرقم، من خلال الإحصاء السكاني البريطاني سنة 1922 (بعد ثلاثة عقود)، بحيث بلغ عدد سكان لفتا 1451 نسمة، كما بلغ عدد المباني فيها، سنة 1931، نحو 410 بيوت.[94] ويبدو أن معلوماتنا عن الفترات اللاحقة أضحت أكثر دقة، بحيث أصبحت الصور الفوتوغرافية والخرائط مصدراً إضافياً لفهم تطور لفتا وأهميتها، ويظهر بعضها في هذا الكتاب.

اللوحة رقم 21 صورة بطاقة بريدية (Postcard) تُظهر طريق القدس - يافا على مشارف قرية لفتا، كما كان، بعد التحسينات التي أُجريت للطريق سنة 1889 ومكتوب على البطاقة «تحية من القدس»، وعليها صورة الإمبراطور الألماني

أمّا كوندر وكيتشنر (Conder and Kitchener) فيذكران في الموسوعة المهمة والمعنونة بـ «مسح غرب فلسطين» (*Survey of Western Palestine*)، أن لفتا قرية متوسطة الحجم، وتقع على سفح جبل حاد الانحدار، ولها نبع في الجنوب، ويوجد على طرفيه مقابر محفورة في الصخر. ويذكران أن النبع كبير. والموقع هو، في الغالب، «إليف التي تقع في بنيامين» (*Eleph of Benjamin*)، بناءً على ما ورد في «سِفر يوشع»: 28:18.[95] واختلفا، في هذا الأمر، مع تحديد مكان لفتا في «العهد القديم»، بحيث تم نقاش مي نفتوح (مياه/نبع نفتوح)، الوارد في «سِفر يوشع»: 9:15. كما أن وصفهما للقرية مقتضب، حتى مقارنة بسائر القرى.

تظهر لفتا في نهاية القرن التاسع عشر أيضاً في كتابات الحركة الصهيونية، بحيث يذكر، مثلاً، أبراهام لونتش (Abraham Luncz) (سنة 1898م)، أنها تُعتبر من القرى الكبيرة، ويوجد فيها 117 بيتاً.[96] ويضيف بن تسفي (Yitzhak Ben Zvi) أنها أكبر القرى العربية. أمّا دافيد يلين (David Yellin) فيحدد حدودها، ويذكر أنها تمتد حتى ميا شعاريم،[97] وشعاريه حيسد،[98] ومجمع شنللر (دار الأيتام السورية)،[99] والشيخ جراح، وعين كارم.[100]

لم يقف أهالي لفتا مكتوفي الأيدي أمام الصراع الوطني الذي اندلع سنة 1929 (ثورة البراق)، فقد ذكرت مجموعة من المصادر مشاركتهم الفعالة في هذه الانتفاضة، بصور متعددة.[101] واتسعت مشاركتهم في ثورة سنة 1936، ويبدو أن هذه القرية دفعت ثمناً غالياً نتيجة ذلك، فقد زُج بكثير من أبنائها في سجون الانتداب البريطاني، علاوة على تدمير بعض بيوت الثوار،[102] واستشهاد مجموعة من شباب القرية.

لم يبزغ فجر القرن العشرين، إلاّ وكانت لفتا محاطة بسلسلة من المستعمرات اليهودية، الأمر الذي زاد في خطورة موقعها من جهة، وأهميته من جهة ثانية. وانعكست عليها هذه المستعمرات في مراحل مبكّرة من حرب سنة 1948، فأصبحت تتحكم في طريق استراتيجية تربط القدس بيافا، وخصوصاً أنها تربط القدس بأكبر المستعمرات اليهودية في فلسطين (تل أبيب). وظهرت القرية في الكتابات العبرية كأحد معاقل الثوار الفلسطينيين، بحيث انطلقت منها هجماتهم ضد المستعمرات اليهودية، وضد الطرق الواصلة فيما بينها، بما فيها طريق القدس – يافا.[103]

كان موقع لفتا، في الحقيقة، من المؤثرات الكبيرة في تطورها من كل النواحي، نتيجة الاتساع العمراني المتسارع الذي شهدته، بدءاً بالأطراف المحيطة بها، وصولاً إلى باب العمود، وخصوصاً النمو المذهل الذي شهده شارع يافا، الرابط بين لفتا والقدس القديمة، بحيث اكتظت على جانبيه المحال التجارية والمؤسسات العامة، وبُنيت الأحياء الجديدة خلفه، وعلى الجهتين، وخصوصاً منذ مطلع القرن العشرين. لكن البدايات كانت قبل ذلك بنصف قرن. وأضفت، بالتأكيد، النشاطات الاقتصادية المتعددة، التي زاولها أهل لفتا، على السكان سمات اجتماعية ذات أبعاد طبقية جديدة.

من الجدير القول، لمعرفة مدى التطور الذي أصاب لفتا، إنها كانت تقوم إلى جانب تلة شديدة الانحدار، حتى أواخر القرن التاسع عشر. ويقع إلى الجنوب منها نبع وقبور محفورة في الصخور، ومحاطة ببساتين الفواكه والخضروات، وبدت عليها ملامح التغير والتطور، بوضوح، منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. أمّا منازلها، فبُنيت أغلبيتها بالحجارة المستخرَجة من محاجر القرية، متخذة شكل خط محيط التل (الكنتورات الصخرية). وامتدت الأزقة القديمة فيها على شكل خطوط منحنية، تبعاً لخطوط الكنتور الطبيعية، وشُيِّدت البيوت، على هيئة مدرجات، ليتمكن قاطنو كل منها من الاستمتاع بالمشهد الجميل الذي يمثله وادي الشامي، بمزروعاته الدائمة الخضرة، على مدار السنة. وتوسّعت القرية خارج الجذر التاريخي، قبل أن ينتهي القرن التاسع عشر، وشقت طريقها في اتجاه النبع، وبكثافة أقل من ذلك في الاتجاهات الأُخرى. وبدت على بيوتها الجديدة الحداثة المبكّرة التي ظهرت في فلسطين بصورة عامة، وفي القدس بصورة خاصة.

توسعت القرية توسعاً ملحوظاً في عهد الانتداب، وامتد البناء فيها شرقاً، صاعداً منحدرات جبل خلة الطرحة، وواصلاً إلى القرية من خلال تشييد أبنية حي روميما في المنطقة الشمالية الغربية من القدس الغربية، حتى تداخلت مباني أهالي لفتا بمباني حي روميما، الذي سكنت فيه أغلبية يهودية. كما امتد البناء نحو المنحدرات السفلية من التل في

الجنوب والجنوب الغربي، في موازاة الشارع العام الممتد بين القدس ويافا. ولم يعد هناك فراغات بين عين الماء وجذر القرية. وتظهر لفتا، في الصورة الجوية التي التقطها لها سلاح الطيران الألماني، سنة 1917، في أثناء الحرب العالمية الأولى، وقد انتشرت مبانيها على كل المنحدر الشرقي، وعلى امتداد الطريق الذي يربطها بقرية بيت حنينا، كما يظهر بعض هذه المباني على سفوح المنحدر الغربية.

المصدر: دافيد كروينكر، «عمارة القدس – الفترات والطرز: المباني العربية خارج أسوار البلدة القديمة» (القدس: معهد القدس لدراسات إسرائيل، 1985) (بالعبرية).

المخطط رقم 7 رسم لجزء من لفتا، كما صوره دافيد كروينكر
(David Kroyanker)

جرى صوغ مجموعة من القوانين الناظمة للبناء في الريف، خلال فترة الانتداب البريطاني، وتمت مراقبة نوع المباني وشكلها، فلم يعد البناء حراً يقرره أهل القرية أنفسهم، بناءً على المتوارث من العادات والخبرات والحقوق. وأصبح من الضروري، مثلاً، الابتعاد عن البناء المجاور، ما مسافته عشرة أمتار على الأقل. وأصبح ممنوعاً البناء على قطعة أرض تقل مساحتها عن 500 متر مربع. كما يجب ألاّ يزيد ارتفاع المبنى في القرية على ثمانية أمتار. وأدى هذا كله إلى استحالة الاستمرار في تنمية جذر القرية، ودفع لفتا إلى الانتشار المتسارع في الحقول المجاورة، وحتى البعيدة، تلبية لحاجات القرية، واستجابة لنمو عدد سكانها، علاوة على نموهم الاقتصادي الملحوظ، وارتفاع مستوى معيشتهم، وتنوع مصادر دخلهم، الأمر الذي يتطلب نوعاً مغايراً من المباني. لكن ذلك لم يؤدِّ إلى انخفاض كبير في حجم الأراضي المزروعة، فقد خدمت المصاطب الصخرية الطبيعية هذا الهدف. كما أن البيوت الجديدة تمتعت بحدائق واسعة، بسبب مسافة الابتعاد القانونية عن المجاورين، زُرعت بكل أنواع الأشجار المثمرة والخضروات، وهو ما زاد في خضرة القرية، بحيث حجبت الأشجار أحياناً هذه البيوت، واختفت بينها.

كان السواد الأعظم من سكان لفتا من المسلمين، بينما قُدر عدد المسيحيين بينهم، في أواسط أربعينيات القرن العشرين، بـ 20 نسمة (شكلوا، أساساً، على ما يبدو، سكان مدرسة شنللر/Schneller) من مجموع 2550 شخصاً يقيمون بها. وكانت تضم، قبل تهجيرها، بالإضافة إلى القرية ومحيطها، حيَّ الشيخ بدر الحديث، والمباني الحديثة التي تقع على امتداد شارع يافا، وضمنها بعض المحال التجارية التي يمتلكها أهالي لفتا. وكان فيها مقهيان، ونادٍ للشباب، وبعض الدكاكين، منها دكان لحام ومنجرتان، ومدرسة إعدادية للبنين، وأُخرى للبنات، وعيادة صحية، ودكان حلاق، الأمر الذي يعني أن الخدمات الأساسية كانت متوفرة داخل القرية.

أضحت القرية، في الواقع، في بداية فترة الانتداب البريطاني، ضاحية من ضواحي القدس، ترتبط بها بعلاقات اقتصادية متبادلة ومنافع مشتركة وعلاقات اجتماعية ذات أشكال متعددة. وكان سكانها يبيعون منتوجاتهم في أسواق القدس، وضمنها أيضاً سوق محانيه يهودا، المتفرعة من شارع يافا، ويعتمدون على ما تقدمه المدينة من خدمات صحية واجتماعية وتعليمية. وكانت أشجار الزيتون تغطي نحو 1044 دونماً من مجموع أراضي القرية. وكان ما مجموعه 3248 دونماً مزروعاً بالحبوب، في الفترة 1944 – 1945. أمّا مساحة القرية المبنية، فبلغت 324 دونماً.[104] وهذا الرقم لا يشمل، بالتأكيد، مباني اللفاتوة الواقعة خارج الجذر التاريخي، بحيث احتُسبت ضمن أحياء القدس التي تقع داخل حدود البلدية. لذلك، يجب أن نفهم أن المساحة المقدَّرة بـ 324 دونماً هي الجذر التاريخي ومحيطه القريب فقط.

اللوحة رقم 22 منظر عام للفتا

أُسست، سنة 1935، شركة حافلات بالاشتراك مع قرية دير ياسين المجاورة، بسبب الضرورة اليومية وتنامي علاقة لفتا بمدينة القدس، وتعزيزاً لربطها بها. وحملت اسم شركة باصات لفتا ودير ياسين، وبلغ مجموع حافلاتها ثلاثاً، وكانت كل منها تنتقل ثلاث مرات يومياً بين القدس والقريتين على الأقل، وتُحضر معها الصحف اليومية أيضاً.[105]

يمكن القول إن تغيرات كبيرة طرأت على الأعمال التي أصبح أهالي لفتا يمارسونها. فالنهضة العمرانية الكبيرة في القدس ومحيطها، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، زادت في طلب خبراتهم بالبناء، بحيث عُرف عنهم إتقانهم حِرَف البناء، وخصوصاً تهذيب الحجارة (دقاقة)، واستخراج حجارة البناء من المحاجر،[106] بالإضافة إلى وجود مجموعة من الكسارات المتوسطة الحجم والكبيرة،[107] ومجموعة من لتونات الشيد.[108] لكن أهل لفتا بدأوا أيضاً يشتغلون في الوظائف الحكومية والتعليم، علاوة على افتتاحهم المتاجر والمشاغل والعيادات والمكاتب في شارع يافا وروميما والشيخ بدر وسائر أحياء المدينة. كما التحق عدد منهم بالجامعات العربية، فدرسوا الطب والتمريض والقانون والهندسة والشريعة في الأزهر وعلوماً أُخرى، كما درسوا في مدارس القدس الخاصة والعامة. وعبّرت المباني الحديثة في لفتا عن هذا الاندماج المتسارع بين قرية لفتا والقدس، واتضح هذا الأمر من خلال ارتفاع ملحوظ في مستوى المعيشة. لذلك، أخذت النكبة في لفتا أبعاداً متعددة، وخصوصاً الخسائر الكبيرة التي مُنِي بها السكان نتيجة فقدانهم مصادر ثروتهم ومتاجرهم ومبانيهم الحديثة، علاوة أيضاً على عامل آخر متمثل في الأراضي الواسعة التي كانت تمتلكها القرية، والتي أصبحت أسعارها مرتفعة جداً.

تظهر قرية لفتا في نص اتفاقية عقدتها حكومة الانتداب البريطاني سنة 1932 مع المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى، تجمع بموجبها حكومة فلسطين الأعشار من القرى والأراضي الوقفية، وضمنها لفتا، وتدفعها بدورها إلى المجلس الإسلامي، بحيث تشكل أراضي الأعشار فيها 12 قيراطاً.[109] وطالب المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى حكومة فلسطين بقطعة أرض في لفتا تسمى «أرض الطول»، واعتبرها أرضاً وقفية، ووافقت حكومة الانتداب على ذلك،[110] لكنها لم توافق على مطالبته بستة قراريط، هي وقف الجامع والتربة في لفتا.[111]

بلغت مساحة أراضي لفتا نحو 8743 دونماً، في سنة 1945، بموجب وثائق الانتداب البريطاني وخريطة فلسطين،[112] غير أن مساحة مدينة القدس اتسعت عندما أُنشئت بلديتها في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، لتشمل أراضي خارج الأسوار، ممتدة على حساب القرى المجاورة، ومنها لفتا. وضمت، بالتالي، مساحات واسعة من أراضي لفتا إلى أراضي بلدية القدس العثمانية. وتوسعت مساحة نفوذ بلدية القدس على حساب أراضي القرى المجاورة، مرة أُخرى، بعد الاحتلال البريطاني، وظهور المخططات الهيكلية الحديثة الأولى لمدينة القدس. وكان نصيب لفتا من اقتطاع أراضيها لمصلحة البلدية كبيراً، بحيث ضُمت أراضي الحارة الفوقا للفتا إلى بلدية القدس، ووقفت الحدود عند أراضي الحارة التحتا للقرية، بحيث لم يعد للفتا إلاّ ما ذُكر، وهو 8743 دونماً فقط، وهي أراضي الحارة التحتا وما تبقى من أراضي القرية، وخصوصاً الممتدة في اتجاه الواد، وفي اتجاه بيت حنينا وبيت إكسا. ولا يعني هذا الأمر فقدان أهالي لفتا أراضيهم، فقد بقيت أغلبيتها

العظمى، والتي يمكن إثبات ملكيتها، في أيدي مُلاّكها، لكنها أصبحت إدارياً جزءاً من أراضي مدينة القدس. ويبدو الأمر كأنه خسارة، لكنه رفع، في حقيقة الأمر، قيمة الأراضي التي ضُمت إلى مدينة القدس.

اللوحة رقم 23 صورة شارع يافا، سنة 1900، ويظهر التخطيط الحضري الحديث والأسواق التجارية. ولم يمضِ عقدان على التقاط هذه الصورة حتى ارتفع البنيان، عبر إضافة مزيد من الطبقات إلى المباني، وحلّت السيارات محل العربات التي تجرها الخيول. وما زال كثير من هذه المباني قائماً حتى يومنا هذا

تم إسكان نحو 69 عائلة يهودية في بيوت لفتا، بعد نكبة سنة 1948، واقتلاعِ كل أهاليها من قريتهم التاريخية، ومن كل بيوتهم في الأحياء الجديدة الواسعة. ووصل العدد، سنة 1952، إلى 400 عائلة يهودية،[113] أغلبيتها من المستوطنين القادمين من اليمن وكردستان العراق. وبقيت أغلبية بيوت لفتا، وخصوصاً الحارة الفوقا، آهلة بهؤلاء، حتى العقد الثامن من القرن العشرين، حين بدأ ترحيلهم بعد دفع التعويضات إليهم من شركة عميدار الإسرائيلية،[114] التي دمرت أجزاء من أسقف المباني المفرغة لمنع استخدامها من جديد.[115] وبقي 13 مبنى من مباني القرية آهلة، وتقع كلها على طريق القدس – يافا، وبالقرب منه، وبدأ التفاوض مع من استوطنها من اليهود لإجلائها في السنوات القليلة الماضية، كي تُهدَم لتوسيع طريق القدس – يافا السريع، ولتنفيذ مشاريع أُخرى، ضمنها مخطط قرية لفتا المشار إليه، ومخطط بوابة القدس. وصدر، سنة 2017، قرار هدم تسعة من هذه المباني، بعد أن جرت مفاوضات طويلة مع المستوطنين فيها، تكللت بدفع مبالغ كبيرة إليهم تعويضاً عن بيوت لا يملكونها أصلاً، في حين أن مُلاّكها الحقيقيين لا يبعدون، في الحقيقة، عن بيوتهم وبيوت آبائهم وأجدادهم، سوى بضع مئات من الأمتار.

اللوحة رقم 24 صورة لمستوطنين يتناولون الطعام على سطح أحد مباني لفتا القريبة من شارع القدس - يافا، وخلفهم جذر القرية في اتجاه الشمال. العقد السادس من القرن العشرين

قطع شارع يافا في القدس شوطاً كبيراً من التطور، عند دخول المدينة القرن العشرين، وأصبح مركزاً تجارياً مهماً، بل الأهم في المدينة، بحيث اصطفت الدكاكين والبنايات الكبيرة على جانبيه. وتحمل تلك البنايات، المتعددة الطبقات، سمات جمالية واضحة، وبُنيت بمهارة مهندسين معماريين وتحت إشرافهم، واستُخدمت أغلبيتها العظمى مكاتب وعيادات ومتاجر ووكالات، ومن أجل تقديم خدمات حكومية، بالإضافة إلى استخدامات أُخرى غيرها، لكنها استُخدمت أيضاً مبانيَ سكنية متعددة الطبقات، أو حتى فيلات. وبالتالي، لا يمكن فهم الازدهار الذي شهدته لفتا خلال هذه الفترة إلاّ من خلال ربطه بعنصرين أساسيين هما: طريق يافا – القدس من جهة، والتطور الملحوظ الذي شهده شارع يافا من جهة أُخرى، إذ إن هذا الشارع، بما حوله من أراضٍ، هو جزء لا يتجزأ من أملاك أهالي قرية لفتا، فلا بد من أن ارتفاع أسعار الأراضي فيه، وقيام بعض سكان لفتا بالاستثمار فيه، من خلال بناء مبانٍ مخصصة للمكاتب والدكاكين والبيوت الحديثة، أرخيا بظلال وافرة وثروة كبيرة على أهالي القرية.

أدت هذه التطورات إلى تحولات طبقية واضحة، ومكّنت بعض سكانها من تشييد مبانٍ صغيرة ذات مظهر بورجوازي، وفيلات ومبانٍ تجارية كبيرة، مؤلفة من عدة طبقات، علماً بأن بعض سكان القرية خرج كلياً منها ومن محيطها، وانتقل إلى مناطق بعيدة، مثل شارع يافا، وحتى إلى مناطق أقرب إلى أسوار القدس، ضمنها الشيخ جراح. واستمرت عملية الخروج هذه طوال فترة الانتداب البريطاني، وتواصلت بعد اقتلاع سكان لفتا منها، وتحول جزء منهم إلى لاجئين في القدس، فبنوا مزيداً من البيوت في منطقة الشيخ جراح، استمراراً لعملية بدأت قبل أكثر من نصف قرن من الاقتلاع. وهاجر كثيرون من سكان لفتا بعد الاقتلاع إلى القدس ورام الله وعمّان، ووصلوا إلى الولايات المتحدة الأميركية وسائر بقاع المعمورة، مثلهم في هذا الأمر مثل سائر لاجئي فلسطين، فسكن بعضهم في المخيمات، لكن أغلبيتهم العظمى اندمجت في المدن المشار إليها أعلاه، وخصوصاً في القدس ورام الله والبيرة وعمّان.

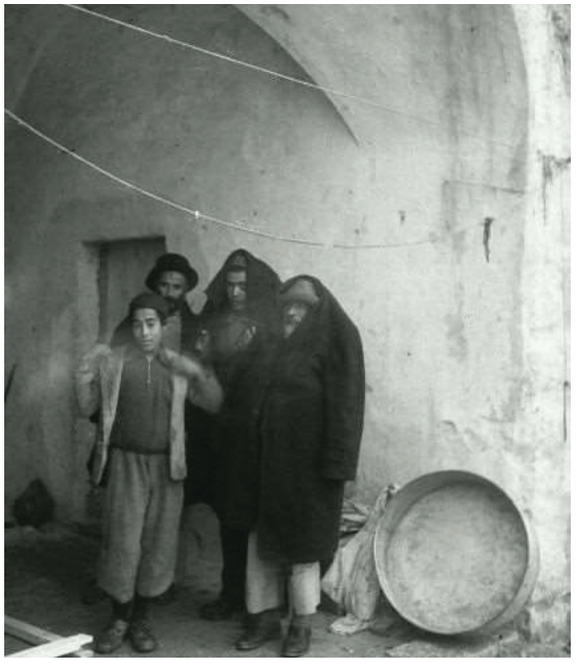

اللوحة رقم 25 صورة لمستوطنين يهود من أصول شرقية داخل إيوان أحد بيوت لفتا، بعد النكبة

اللوحة رقم 26 صورة لفتا بعد التهجير، العقد الخامس من القرن العشرين

الجدول رقم 1 جدول يلخص المعلومات الديموغرافية الموثّقة[116] بشأن تطور لفتا ديموغرافياً

الرقم	السنة	عدد السكان	المصدر	ملاحظات
1	1562	نحو 360	دفتر تحرير عثماني رقم 1515	يبلغ عدد السكان 72 خانة.
2	1596	396	هيتيروت وعبد الفتاح	بالاعتماد على الدفاتر والسجلات العثمانية.
3	بداية القرن 19	200 نسمة	بن أرييه	لا يُعقل أن يكون الرقم صحيحاً، بل لا يشكل نصف سكان لفتا في هذه الفترة.
4	1854		توبلر	أكثر من 50 بيتاً، وفيها مسجد كبير.
5	1868	600	فكتور غورين	مسجد ومعلومات أثرية
6	1870	300 – 400	كوندر وكيتشنر/صندوق استكشاف غرب فلسطين	لا يمكن أن يكون عدد السكان صحيحاً، بل من المتوقع أن يكون ضعف ذلك، إلاّ إذا كان الرقم يعبّر عن الذكور فقط، وهو قليل أيضاً.
7	1870	790	سوشين	عدد السكان هنا أقرب إلى الواقع.
8	1896	966	كونراد شيك	يبدو أن عدد السكان دقيق، ويعتمد على معلومات، لا تقديرات، وقد صحّح بذلك المعلومات التي أوردها صندوق استكشاف غرب فلسطين.
9	1898		لونتش	في لفتا 117 بيتاً، ويجب الحذر من هذا الرقم، وعدم اعتبار البيت عائلة نووية، فعدد البيوت كان أكبر من ذلك، ويبدو أن بيت الحامولة المتعدد العائلات احتُسب بيتاً، لذلك لا يمكن تطبيق قاعدة خمسة أفراد للعائلة الواحدة
10	1922	1451	إحصاء الانتداب البريطاني	يجب عدم الأخذ بالرقم البريطاني، إلاّ كمؤشر، بحيث لا يتضمن اللفاتوة الذين أصبحوا يعيشون خارج لفتا مثل روميما، والشيخ بدر والشيخ جراح... إلخ. وقد يعني هذا الأمر أيضاً أن اللفاتوة الذين يسكنون في لفتا العليا، التي أصبحت جزءاً من بلدية القدس، يدخلون في إحصاء مدينة القدس. وينطبق هذا الأمر على سائر الإحصاءات البريطانية في السنوات اللاحقة.
11	1931	1858	إحصاء الانتداب البريطاني	يتضمن الرقم 14 مسيحياً، قد يكونون من سكان مجمع شنللر، مع أخذ الملاحظة السابقة في الاعتبار.
12	1931	1893	الدباغ، «بلادنا فلسطين»	لا يذكر المسيحيين.

13	1933	1844	زئيف فلنائي[117]	كلهم من المسلمين، ويعني هذا الأمر اختفاء المسيحيين من الإحصاء، وضمهم إلى القدس. ويعبّر الرقم أيضاً عن تراجع عدد السكان بسبب انتقالهم إلى الأحياء الجديدة خارج حدود لفتا. كما يُظهر الإحصاء وجود 410 بيوت فيها. ويجب التحفظ، مرة أُخرى، على رقم البيوت، بحيث يبدو أن العدد يتضمن، فقط، تلك البيوت الواقعة في حدود لفتا (القرية) من دون بيوت اللفاتوة التي تقع ضمن أحياء بلدية القدس الانتدابية. ولكن، لو افترضنا جدلاً أن عدد البيوت في لفتا البلدة، من دون الأحياء الخارجية، صحيح (410 بيوت)، فإن عدد السكان قليل جداً، إذ إنه لو افترضنا أن البيت الواحد يضم خمسة أفراد، وهو تقدير قليل بالنسبة إلى هذه الفترة، إذ إن عدد أفراد العائلة زاد بسبب الخدمات الصحية والوعي العام... إلخ، لذلك، فإن عدد السكان يجب أن يكون قد تجاوز 2500 نسمة.
14	1938	2139	إحصاء الانتداب البريطاني	زيادة واضحة في عدد السكان خلال خمس سنوات. وتنطبق الملاحظة السابقة لسنة 1933 على هذا الإحصاء أيضاً.
15	1940	2000	إحصاء الانتداب البريطاني	يبدو أن هذا رقم تقريبي، ولا يعبّر عن الواقع، بحيث يرد أن القرية كبيرة، وتشهد نمواً مستمراً.
16	1945	2500	إحصاء الانتداب البريطاني	ضمنهم 20 مسيحياً.
17	1946	3000	وليد الخالدي، «كي لا ننسى»	رقم تقديري، بناءً على نسبة النمو السكاني.
18	1948	2958	سلمان أبو ستة	
19	1997	13.392	سلمان أبو ستة	المسجلون لدى الأونروا فقط. وهناك، بالتأكيد، كثيرون من اللفاتوة غير المسجلين لديها.
20	1998		صفحة «فلسطين في الذاكرة»	لا يذكر المصدر. لكن يبدو أنه استمده من إحصاءات الأونروا، التي تذكر أن عدد أبناء لفتا المسجلين في سجلاتها، في هذه السنة، بلغ 14.217، في حين بلغ عدد غير المسجلين 3948، ونصل بذلك إلى الرقم المذكور. سليم تماري، «القدس 1948»، ص 271.
21	2017	46.000	تقديرات أهالي لفتا، مصادر متعددة.	

ثالثاً: التهجير

لا بد من القول إن لفتا ارتبطت بعلاقة طيبة نسبياً بالمستعمرات اليهودية المحيطة بها والتي أقيمت على أراضيها (روميما، ميا شعاريم، غفعات شاؤول، محانيه يهودا). وسبب ذلك هو تداخل السكن في منطقة روميما بين اللفاتوة واليهود، وإنتاج لفتا المميز من حجارة البناء، والتجاور في الأسواق، مثل شارع يافا، واعتماد كثير من اللفاتوة على تسويق منتوجاتهم الزراعية في سوق محانيه يهودا. صحيح أن هذه العلاقة أصابها شرخ، بدءاً بثورة البراق سنة 1929، وازدادت الهوة اتساعاً في ثورة سنة 1936، بسبب مشاركة اللفاتوة الفعالة فيهما، إلاّ إن هذا الأمر لم يعبّر عن تدهور تام من منظور لفتاوي، في أقل تقدير؛ فقد بنى اللفاتوة مدرستهم الجديدة في خلة الطرحة المتداخلة مع مستعمرة روميما سنة 1929، وأضافوا إليها مزيداً من الغرف في السنوات اللاحقة، الأمر الذي يعني أن أهل لفتا لم يشعروا بأن الأمور ستتدهور إلى هذا المستوى، وإلاّ لَما أرسلوا أبناءهم إلى هذه المدرسة، ولَما واصلوا البناء في عدة أحياء، تداخل سكنهم فيها مع اليهود، واستمروا في علاقاتهم الاقتصادية.

اندلع القتال داخل القدس وحولها، بعد قرار التقسيم مباشرة. ولا يعني هذا الأمر عدم وقوعه قبل ذلك، لكنه اتخذ منحىً أكثر شمولية وحِدّة بعد القرار. ويمكن تحديد البداية الفعلية عندما أعلن أهل القدس الإضراب ضد قرار التقسيم لمدة ثلاثة أيام، تخللته مهاجمة المحال التجارية اليهودية القريبة من البلدة القديمة، لكنها كانت أعمالاً فردية وغير منظمة، فرد اليهود عليها بمهاجمة الأجزاء العربية من روميما، كما هاجموا سلوان، مستخدمين الأسلحة النارية، وزرعوا متفجرات في منطقة باب العمود وباب الخليل، فأوقعت هذه الهجمات عشرات القتلى من الفلسطينيين. وهكذا، بدأت الحرب بالتدريج.[118]

تقع لفتا ضمن مفاهيم الخطة دالت، التي أقرتها الهاغاناه، في صورتها النهائية، في آذار/مارس 1948، علماً بأن إعدادها بدأ سنة 1945،[119] والتي تقضي بإنشاء دولة يهودية على أوسع مساحة من فلسطين، وطرد أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين. وارتبطت لفتا بعدد من العمليات العسكرية التي هدفت إلى تطبيق الخطة دالت المذكورة، منها عملية نحشون (5 – 1948/4/15)، وعملية هارئيل (15 – 1948/4/20)، اللتان هدفتا إلى تفريغ كل القرى والبلدات الفلسطينية الواقعة بين يافا والقدس، وخصوصاً تلك القريبة والمتداخلة بالمستعمرات اليهودية الملاصقة للقدس من الجهة الغربية. وهناك أيضاً عملية يبوسي (1948/4/26)، القاضية بالسيطرة على كل أحياء القدس العربية. وهدفت عملية نحشون إلى ضمان وصول القوافل اليهودية، المحمَّلة بالغذاء والسلاح والمقاتلين، من تل أبيب إلى القدس. واستطاع بن ـ غوريون تجنيد أكبر عدد من الجنود اليهود، وتشكيل أكبر مجموعة في قوات الهاغاناه تحت قيادة واحدة (شمعون أفيدان/Shimon Avidan). وهكذا، تمت السيطرة الفعلية على أهم مفتاح لمدينة القدس، وهو القسطل، الذي بدأت معركته الشهيرة بتاريخ 1948/4/3،[120] واستُشهد فيها عبد القادر الحسيني. واستطاع بعدها بن –غوريون إرسال ثلاث قوافل من الغذاء والعتاد العسكري والجنود إلى القدس. واستمرت بعد ذلك العمليات القاضية بضرب كل القواعد العربية والوجود العربي على امتداد الطريق المذكور، ونُقلت المسؤولية عن ذلك إلى يتسحاق رابين (Yitzhak Rabin)، الذي استطاع، في 1948/4/13، أن يمرر قافلة ضخمة، ضمت 300 شاحنة، إلى القدس، ولحقت بها قافلة أُخرى بتاريخ 1948/4/19.[121]

لا بد، قبل ذلك، من التذكير بأن الهجمات/الغارات الصهيونية على لفتا بدأت قبل نهاية سنة 1947، واستمرت، في أشكال متعددة، في بداية سنة 1948، وخصوصاً على حي الشيخ بدر وروميما، حيث فجرت العصابات الصهيونية عدداً من الأبنية الفلسطينية في هذين الحيين، وتم ترحيل سكانهما من اللفاتوة.[122] ويروي عارف العارف قصة تطور الأحداث، ونقتبسها هنا كاملة، بسبب أهميتها:

اللوحة رقم 27 القوات الصهيونية على طرف لفتا، 1947/12/27، الارشيف الصهيوني

وكان اليوم السابع والعشرون من شهر كانون الأول [ديسمبر] 1947 من أيام القدس العصيبة، إذ اقتتل فيه الفريقان حيثما التقيا في المدينة القديمة، وفي لفتا ورومیما، وفي حي القطمون وباب الخليل، وعند طلعة القسطل وباب الواد، وفي كل مكان.

وكانت أخطر هذه الحوادث ما جرى لقافلة يهودية في المكان المعروف بطلعة القسطل على طريق القدس - يافا. فقد هاجمها العرب، وقتلوا أربعة من أفرادها أحدهم هانس برايت [Hans Bright] من رجال الوكالة اليهودية، وجرحوا خمسة منهم غولدا مايرسون[مئير/ Golda Meir]، رئيسة الشعبة السياسية في الوكالة اليهودية، فمُزقت سيارتها إرباً.

وهاجموا، في الوقت والمكان نفسهما، قافلة أُخرى كانت مسافرة إلى عرطوف. فقتلوا ثلاثة من رجالها، وجرحوا ثلاثة آخرين. وكانوا، قبل ذلك بيومين، قد اعترضوا سيارة ركاب كبيرة في طريقها بين غفعات شاؤول والقدس، فقذفوها بقنبلة محرقة، وأطلقوا النار على ركابها. فقُتل بعضهم، وظلت السيارة تتدحرج والنار

مشتعلة فيها إلى أن وقفت عند مستشفى ولخ.

ونسف اليهود في الوقت نفسه منزل الحاج محمود اللفتاوي في روميما، وكان يقوم في جانب من جوانبه معمل للكازوز. وقُدرت خسارته بعشرة آلاف جنيه. وألقوا على مقهى صالح عيسى اللفتاوي قنبلة دمرت جانباً منه.

ثم أعـادوا الكرّة في اليوم التالي (28 كانون الأول[ديسمبر]). وكانوا في هذه المرة، مسلحين بالمدافع من نوع ستن وتومي. فهاجموا المقهى، وقتلوا ستة من رواده، وجرحوا سبعة.[123] ورأى الحادث راعٍ بدوي كان هناك، فاختطف بندقية رفيق له كان بجانبه، وقتل بها أربعة من المهاجمين.

ولقد أحدث هذا الحادث ذعراً في لفتا، فرحل عنها يومئذ معظم سكانها ولا سيما أولئك الذين يعيشون في منازل بين ميكور باروخ وروميما.[124] وتبعهم بعد قليل الباقون. ولا سيما عندما تقوّى اليهود بالعِدد والعَدد، ونسفوا معظم المنازل العربية الكائنة في خلة الطرحة[125] إلى الشرق من لفتا. ولم يكن بيد اللفاتويين يومئذ أكثر من خمسين بندقية. وما كانت هذه بكافية لدرء الشر عنهم. عندئذٍ خلت القرية من السكان. وسُدت في وجه العرب طريق القدس - يافا من هذه الناحية. وكان هذا وحادث بيت صفافا أول الحوادث التي أدت إلى رحيل السكان عن منازلهم من قطاع القدس.»[126]

لم تملك لفتا التحتا أي مقومات للمقاومة، بعد خسارة لفتا الفوقا. فجذر لفتا التاريخي (لفتا التحتا)، كما ذُكر في هذه الدراسة، يقع على سفح جبل، بحيث لا يمكن الدفاع عنه. وكان في إمكان العصابات الصهيونية، بعد احتلال خلة الطرحة (روميما)، وهي قمة الجبل الذي يعلو لفتا التحتا، دحرجة براميل المتفجرات من فوق في اتجاهها (كما فعلت في حيفا)؛ فالمواقع العلوية كانت كلها في أيدي اليهود، سواء روميما أو غفعات شاؤول (المجاورة لدير ياسين). وبالتالي، ما كان يمكن للفتا، بقدراتها الذاتية، أن تقوى على الصمود والقتال، حتى لو توفر لها السلاح. كما أن من الضروري ملاحظة مفادها بأن لفتا قُطعت عن القدس بسقوط روميما، وأصبح الطريق الذي يسلكه السكان، بسبب قيامهم بأي أمر كان، يمر عبر الوادي في اتجاه بيت حنينا (الشمال الشرقي)، ثم إلى شعفاط، وبعدها إلى القدس، وهو طريق طويل، وجزء منه كان وعراً، ويمر عبر أودية وجبال.

استُخدمت طرائق متعددة للضغط على سكان لفتا التحتا كي يتركوا القرية، منها استخدام مكبرات الصوت في التهديد والوعيد والإرهاب، ليل نهار. كما قُطعت أسلاك كل من الكهرباء والهاتف، وأصبح السكان يشعرون بأنهم معزولون تماماً عن العالم الخارجي، ويقبعون في مكان، أشبه بوادٍ.

تُعتبر لفتا، كما ذُكر في أكثر من موقع، من أكبر قرى القدس مساحة، ومن أكبرها عدداً للسكان، إذ يبلغ عدد سكانها خمسة أضعاف عدد سكان دير ياسين المجاورة، على سبيل المثال. ويدرك تماماً المتتبّع لما ذُكر أعلاه، موقع لفتا الاستراتيجي، وخصوصاً تحكمها في البوابة الغربية للقدس، آخذين في الاعتبار مكانة القدس الرمزية في الدعاية الصهيونية، علاوة على أن ثاني أكبر تجمع لليهود في فلسطين كان يقع فيها. أمّا فيما يخص سكان لفتا، فلم يكن العامل الوحيد هو عددهم الكبير بالنسبة إلى سائر القرى، بل أهميتهم اقتصادياً ومعنوياً أيضاً، وتداخل بعض حاراتهم باليهود، فإذا رُحِّل سكانها فلن يبقى لسكان القرى الأُخرى مفر سوى الرحيل،[127] فكان لا بد من السيطرة عليها لضمان السيطرة على بدايـة الطريق الرابط بين القدس ويافا/تل أبيب. كما أن خلق حالة الفزع في لفتا، ذات المكانة الخاصة بين قرى منطقة القدس، سيكون مردوده فيها أكبر كثيراً من إثارته في أي قرية أُخرى. لذلك، أعطت القيادة الصهيونية الأولوية للتطهير العرقي في كل من روميما والشيخ بدر ولفتا، كما سيظهر لاحقاً، من خلال احتفالها بهذا الإنجاز. ويمكن

أيضاً، في الإطار نفسه، فهم خلفيات مذبحة دير ياسين المجاورة للفتا. لذلك، يجب قراءة هذه المذبحة بالتلازم والتكامل مع ما جرى في لفتا المجاورة، وفي السياق ذاته للخطة دالت.

بدأت أُولى عمليات ترحيل سكان لفتا بعد هجوم المقهى المذكور بتاريخ 1947/12/28، وأُرغم سكان روميما والشيخ بدر على المغادرة في مطلع سنة 1948. ويبدو أن آخر موجة من تهجير أهالي لفتا من بيوتهم حدثت بتاريخ 1948/1/29. وأورد كريستال (Krystal) نص تقرير الاستخبارات البريطانية بشأن تهجير سكان الشيخ بدر، وننقله هنا لفهم ماجريات الأمور:

> بعد يوم من القنص العربي في 11 كانون الثاني/يناير، تولت الهاغاناه معالجة الأمر ونسفت منزل الحاج سليمان الهامني، مختار القرية؛ وأعقب ذلك غارة في 13 كانون الثاني/يناير ألحقت أضراراً بنحو 20 منزلاً، وتم إخلاء الضاحية بعد أن تلقى السكان أمراً من الهاغاناه بالمغادرة. وفي 16 كانون الثاني/يناير نهب جمهور يهودي ضاحية الشيخ بدر.[128]

يُذكر أن حي الشيخ بدر كان أول حي يتم فيه إسكان المستوطنين اليهود (25 عائلة يهودية) في بيوت المهجَّرين الفلسطينيين.[129] وحدث الرحيل في موسم الشتاء البارد، وكان على المهجَّرين اجتياز الأودية الجارفة وصعود الجبال الوعرة، بحيث سقط الطريق المؤدي إلى القدس في أيدي العصابات الصهيونية، فبقي الطريق الذي يقود إلى بيت إكسا وشعفاط وبيت حنينا، لتبدأ بعدها رحلة الشتات التي لم تنته حتى الآن.[130]

ونورد هنا ما كتبه إيلان بابه (Ilan Pappe) عن لفتا، بشأن الوصف والتهجير، لاستكمال صورة ما جرى فيها:

> كانت الحياة الاجتماعية في لفتا تدور حول وسط تجاري، اشتمل على نادٍ ومقهيين. وكان يجذب إليه المقدسيين أيضاً، مثلما كان بالتأكيد سيفعل اليوم لو أنه بقي موجوداً. وكان أحد المقهيين هدفاً للهاغاناه عندما شنت هجومها في 28 كانون الأول/ديسمبر 1947. وقد أمطر اليهود المسلحون بالرشاشات المقهى بالرصاص، بينما أوقف أفراد من عصابة شتيرن حافلة ركاب بالقرب من المكان وبدأوا إطلاق النار عليها عشوائياً. وكانت تلك أول عملية لعصابة شتيرن في الريف الفلسطيني؛ وكانت العصابة وزعت قبل الهجوم كرّاساً على أعضائها جاء فيه: «دمروا الأحياء العربية وعاقبوا القرى العربية.»
>
> ربما كان انخراط عصابة شتيرن في الهجوم على لفتا خارج الخطة العامة للهاغاناه في القدس، كما ادعت الهيئة الاستشارية، لكن ما إن حدث حتى جرى دمجه في الخطة. وفي نمط سيتكرر لاحقاً، أصبح فرض الحقائق جزءاً من الاستراتيجيا العامة. في البداية، أدانت القيادة العليا للهاغاناه هجوم عصابة شتيرن الذي جرى في نهاية كانون الأول/ديسمبر. لكن عندما أدركت أن الهجوم أدى إلى هروب القرويين، أمرت بتنفيذ عملية أُخرى ضد القرية نفسها في 11 كانون الثاني/يناير لاستكمال الطرد. ونسفت الهاغاناه معظم بيوت القرية، وطردت من كان تبقّى من سكانها.[131]

وأُتبع ذلك بتوطين المستوطنين اليهود في بيوت لفتا التي هُجّرت. ويقول بابه، بشأن ذلك، إن بن- غوريون أصدر أوامر مباشرة إلى دافيد شالتيئيل(David Shaltiel)، قائد القدس العسكري، للقيام

> بتوسيع السيطرة اليهودية وتأمين التواصل بين أجزائها من خلال تدمير حي الشيخ جراح، واحتلال أحياء أُخرى، وتوطين فوري ليهود في الأماكن التي يتم إخلاؤها. وكانت مهمته «توطين يهود في كل بيت في كل حي شبه عربي يتم إخلاؤه، مثل روميما.»[132]

ويضيف بابه أن دافيد بن – غوريون حضر إلى القرية في 7 شباط/فبراير 1948 (يوم سبت)، بعد تهجير اللفاتوة منها، قادماً من تل أبيب،

ليرى بأم عينيه لفتا مهجَّرة ومدَمرة. واقتبس بابه، من مذكرات بن – غوريون، تقريراً قدمه إلى مجلس حزب مباي (Mapai)، في اليوم نفسه، وجاء فيه ما نصه:

> عندما آتي إلى القدس الآن، أشعر بأنني في مدينة عبرية. وهذا شعور يتملكني فقط عندما أكون في تل أبيب، أو في مزرعة [يهودية - المترجم]. صحيح أن القدس ليست كلها يهودية، لكن صار فيها كتلة يهودية ضخمة: عندما تدخل المدينة عبر لفتا ورومیما، وعبر محانيه يهودا، وشارع الملك جورج، وميا شِعاريم، لا تجد أي عرب هناك. وفي كثير من الأحياء العربية في الغرب لا ترى حتى عربياً واحداً. لا أعتقد أن ذلك سيتغير. وما حدث في القدس وحيفا يمكن أن يحدث في أجزاء واسعة من البلد. وإذا ثابرنا من الممكن جداً أن تحدث، خلال الأشهر الستة أو الثمانية المقبلة، تغييرات كبيرة في البلد، كبيرة جداً، في مصلحتنا. سيكون هناك بالتأكيد تغييرات كبيرة في التركيبة الديموغرافية للبلد.[133]

ويذكر بني موريس (Benny Morris) قصة لفتا، ونقتبسها من الأصل الإنكليزي، حفاظاً على دقة النص وأهميته. وهو نص يتسم بالموضوعية، في حقيقة الأمر، ويتوافق، إلى حد كبير، مع الرواية الفلسطينية للأحداث وتطورها، بغض النظر عن النتائج الختامية التي يتوصل إليها موريس:

> The depopulation of the Arab neighbourhoods in western Jerusalem began with the suburb village of Lifta, and the adjacent districts of Romema and Sheikh Badr, which dominated the beginning of the Jerusalem-Tel Aviv road. Hostilities there were triggered when the Haganah killed the owner, who came from the nearby Arab village of Qaluniya, of a patrol station in the mixed neighbourhood Romema .... From then on, Jewish and Arab militiamen around Romema and Lifta exchanged fire daily and the Haganah, IZL and LEHI repeatedly raided the two suburbs. The raids, as was their intention, caused the evacuation of the Arabs of Lifta and Romema during December 1947 and January 1948.
>
> A British intelligence report described what happened in neighbouring Sheikh Badr: after a day of Arab sniping, the Haganah, on 11 January, «took the matter into their hands and blew up the house of Hajj Sulayman Hamini, the village *mukhtar*.» A second raid followed on 13 January, which some 20 houses being damaged, and the suburb, after receiving a Haganah order, was evacuated. On 16 January, Sheikh Badr was looted by a Jewish crowd.[134]
>
> Ben- Gurion summerized what had happened in Jerusalem at a meeting of Mapai leaders on 7 February. From your entry into Jerusalem through Lifta-Romema, through Mahane Yehuda, King George Street and Mea Shearim- there are no strangers [i.e., Arabs]. One hundred per cent Jews. Since Jerusalem's destruction in the days of the Romans - it hasn't been so Jewish as it is now. In many Arab districts in the west - one sees not one Arab. I do not assume that this will change.[135]

وعاد بني موريس وروى أحداث لفتا في كتابه الثاني، بكلمات مغايرة ومضامين متباينة، بحيث شهد هذا الكتاب رِدّة الكاتب عن كثير من أطروحاته التي سبق أن نشرها، وأعاد تأهيل نفسه صهيونياً عتيداً.[136]

تركت مختلف أحداث النكبة قرية لفتا الكبيرة مهجرة، بأعداد كبيرة من المباني الحديثة والقديمة والأحياء العصرية الآهلة بأبناء القرية، وأعداد كبيرة من الدكاكين في روميما والشيخ بدر وشارع يافا. وتركت محاجر وكسارات ومشاريع اقتصادية، وخلّفت سبعة عشر شهيداً من أهالي لفتا.[137] وتشتّت سكانها بين القدس ورام الله والأردن وسائر أماكن الشتات. ووضعت النكبة حداً لقرية انطلقت لتتماهى، بالتدريج، مع القدس، ولتصبح جزءاً لا يتجزأ منها.

المصادر

1 هذا طريق قديم يقع على امتداد مجرى الوادي، كان يُستخدم طريقاً بديلاً في حال عدم صلاح الطريق العالي، الذي كان يُقطَع أحياناً بسبب تساقط الصخور عليه. كما كان يُستخدم لربط جذر قرية لفتا بالقرى المحيطة بها، واستخدمه أهل لفتا للوصول إلى حقولهم الزراعية التي تمتد غرباً وإلى الشمال الغربي، وخصوصاً حقول الزيتون.

2 يعيد علي خلف تسمية «وادي الجوز» إلى الإمام الشيخ محمد بن جوز، خطيب المسجد الأقصى، والذي دُفن في مقبرة ماميلا، وهو من أوقف الوادي، وليس لشجر الجوز أي علاقة بالتسمية. انظر: علي سعيد خلف، «شيء من تاريخنا» (القدس: وكالة أبو عرفة للصحافة، 1979)، ص 14.

3 تُنسب التسمية إلى زاوية تسمى «زاوية الشيخ جراح»، وهي اليوم مسجد يحمل الاسم نفسه، ويقع في الطرف الشمالي لفندق الأميركان كولوني. وهذا الشيخ هو الأمير حسام الدين بن شرف الدين عيسى الجراحي، وهو طبيب صلاح الدين الأيوبي. ودُفن في زاويته، ودُفن إلى جانبه عدد آخر ممن قاتلوا في جيش صلاح الدين. انظر: كامل العسلي، «أجدادنا في ثرى بيت المقدس» (عمّان: مؤسسة آل البيت، 1981)، ص 104 – 106.

4 أسامة ربيع، «لفتا تاريخ عريق... وإنسان معطاء» (رام الله: جمعية لفتا العربية للعمل الخيري، 2010)، ص 18.

5 أخبرني المهندس ناصر أبو الليل، مشكوراً، أن الحاج علي خلف قال في مقالة نشرها منذ سنوات طويلة (لم أهتدِ إليها) إن عائلته تملك الأرض التي أُقيم عليها مبنى الكنيست.

6 انظر قصة تهجير هذا الحي في: Nathan Krystal, «The De-Arabization of West Jerusalem, 1947–1950,» *Journal of Palestine Studies*, vol. xxvii, no. 2 (Winter 1998), pp. 5–22.

7 جُمعت هذه الأسماء من مصادر متعددة.

8 انظر، على سبيل المثال، ربيع، مصدر سبق ذكره، ص 22. وجُمعت هذا الأسماء من مصادر متعددة.

9 أُنشئت أول مستعمرة في القدس، سنة 1968، عقب حرب حزيران/يونيو 1967. وعبّرت هذه المستعمرة، في ذلك الوقت، عن التوجهات الإسرائيلية تجاه القدس.

10 أُنشئت، سنة 1971، وتسمى أيضاً التلة الفرنسية.

11 أُنشئت، سنة 1970، بين مستعمرة رمات إشكول والتلة الفرنسية.

12 أُنشئت، سنة 1972، على أراضي شطر القدس الشرقي، وعلى أراضي كانت تُعتبر «أرضاً حراماً»، فصلت القوات الأردنية عن القوات الإسرائيلية في الفترة 1948 – 1967.

13 من الممكن أن يساهم ما طرحناه هنا، من منهجيات لدراسة تاريخ لفتا، في تطوير مناهج دراسة تاريخ الريف في فلسطين. وما زال هذا الأمر في بواكيره، ويحتاج إلى تقديم نماذج أُخرى. ويجب، بالتأكيد، عدم إغفال محاولات أُخرى، وخصوصاً محاولة بشارة دوماني، في كتابة تاريخ مدينة نابلس وعلاقتها بالريف، لكن مصادره كانت مَدينية (نابلسية) أساساً، ولم تحتوِ دراسته على مصادر ريفية، في حد ذاتها، لكنها مساهمة جادة بالتأكيد. انظر: بشارة دوماني، «إعادة اكتشاف فلسطين: أهالي جبل نابلس، 1700 – 1900» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2002).

14 انظر محاضرة آفي مشيح التفصيلية، بتاريخ 2016/11/21 (بالعبرية)، على YouTube، على الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=i9RuoAE_3yg
(تمت المشاهدة بتاريخ 2018/9/16).

15 Felix Marie Abel, *Géographie de la Palestine*, *géographie physique et historique*, Les *villes*, Tome I: *Géographie physique et historique* (Paris: Gabalda, 1933), p. 38.

16 شُخِّص ما مجموعه نحو 40 تشكيلة صخرية في لفتا، بعضها واضح المعالم والوظيفة، وبعضها الآخر غير مفهومة وظيفته، لكن أغلبيتها العظمى حفرها الإنسان. وهناك بعض المغاور الطبيعية التي استخدمها الإنسان للسكن أو للدفن، كما أن هناك عدداً منها حُفر منذ البداية ليكون قبوراً. أمّا تواريخ هذه التشكيلات فيعود أقدمها إلى العصر البرونزي، وأحدثها إلى العصر البيزنطي. حتى إن بعضها يعود إلى ما بعد ذلك. وهناك، طبعاً، عدد كبير من آبار المياه، التي لم توثَّق وتُدرس، بصورة علمية، حتى الآن. ويمكننا أن نفترض أن هناك مزيداً من هذه التشكيلات الصخرية التي غُطيت في أثناء أعمال بناء السلاسل الحجرية وتشكيل المصاطب، لأغراض الزراعة أو البناء، في الفترة العثمانية حتى النصف الأول من القرن العشرين. ويدل مجموع التشكيلات الصخرية، المنتشرة داخل القرية وفي محيطها، على كثافة استخدام المنطقة المحيطة بلفتا عبر التاريخ.

17 انظر المراجعة الكاملة للموضوع في: «تقرير سلطة الآثار الإسرائيلية، توثيق أولي للفتا، تموز/يوليو 2008»، ص 7 (بالعبرية).

18 سِفر يوشع، الإصحاح 15: الآية 9. ويرد في الترجمة العربية ما نصه: «وامتد التخم من رأس الجبل إلى منبع مياه نفتوح.»

19 انظر: ناصر الدين أبو خضير، «أسماء قرى القدس: دراسة لغوية دلالية»، «مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب»، المجلد 13، العدد 2 (2016)، ص 364.

20 انظر النقاش في الموضوع لدى:
Victor Guérin, *Description: géografique, historique et archéologique de la Palestine* (Paris: L'Imprimerie Nationale, 1868), tome 1, pp. 169–170.

ويمكن قراءة نص يوسيفوس في كتابه (في كل طبعاته، وبجميع اللغات التي تُرجم إليها)،

Falavius Jusephus, *The Jewish War*, Book IV, Chapter VIII.

21 هكذا تظهر لدى وليم ويتسون (William Whitson) في ترجمته – ونشره – الأعمال الكاملة ليوسيفوس، والمنشورة في نيويورك سنة 1897، وتُعتبر من الترجمات المهمة (ص 128 من المجلد الثالث)، ولاحظ أنها تُظهر بيت ليتفون، لا بيت لفتافون، فمن أين جاءت الفاء الثانية في الكلمة، وكيف أُلصقت بها، علماً بأن نص يوسيفوس وصل إلينا باليونانية، وهو مصدر كل الترجمات. ومن المفيد القول إن إسقاط المسميات على المواقع في فلسطين، والتي يذكرها يوسيفوس، يُعتبر مشكلة، وخصوصاً أن ذلك تم في القرن التاسع عشر، من جانب علماء العلوم التاريخية الغربيين والمفعمين بروح التوراة، وربط كل شيء بهذه الإسقاطات. ويحتاج هذا الأمر، بالتأكيد، إلى مراجعة جدية للإفلات منها.

22 قد تكون لهذه التسمية أهمية كبيرة، إذ إنها تقترب من التسمية الواردة في «العهد القديم»، مع الأخذ في الاعتبار أن الفترة البيزنطية شهدت إطلاق كثير من المسميات التوراتية على الأماكن في فلسطين. وهي مسألة يمكن مراقبة ظهورها من جديد، في الفترة الصليبية، بعد الاحتلال الإسرائيلي سنة 1948 أيضاً، بحيث أعيد استحضار أسماء توراتية وإلصاقها بالمواقع الجغرافية في فلسطين، بغض النظر عن مدى انطباقها.

23 Edward Schwartz, *Kyrillos von Scythopolis* (Leipzig: Hinrichs Verlag, 1939), S. 85ff.

24 Myriam Rosen–Ayalon, *Islamic Art and Archaeology in Palestine* (California: Walnut Creek, 2006), pp. 70–72;

شكري عراف، «خانات فلسطين» (رام الله: رواق، مركز المعمار الشعبي، 2013)، ص 188 – 189.

25 Meron Benvenisti, *The Crusaders in the Holy Land* (New York: Macmillan, 1970), p. 19; Denys Pringle, *Secular Buildings in the Crusader Kingdom of Jerusalem*: *An Archaeological Gazetteer* (New York: Cambridge University Press, 1997), p. 66.

26 علم البحث في أصول الكلمات واشتقاقاتها.

27 يذكر ذلك آفي مشيح، بناءً على تقرير مسح أجراه كل من سليغمان وشاحر في لفتا. انظر:

Jon Seligman and architect Shahar Puni

http://antiquities.org.il/images/archinfo//001–030/028.pdf

وتبلغ مساحة المبنى (المزرعة) 16.4 متراً عرضاً و18.2 متراً طولاً. انظر:

آفي مشيح، «لفتا توثيق ومسح أولي» (القدس: سلطة الآثار الإسرائيلية، 2008) (بالعبرية)، ص 1.

http://savelifta.org/wp–content uploads.pdf_

28 حُدّدت أطوال المبنى، في بحث أثري أُجري سنة 1965، بحيث ذُكر أنه مربع الشكل، طول ضلعه 30 متراً. لذلك، هو مبنى ضخم. انظر: ميخائيل موشيه، «القرية والبيت في لفتا: التطور المعماري وعملية التغيير، معسكر دراسي» (القدس: الجامعة العبرية، 2000) (بالعبرية)، ص 26. ولا يذكر الباحث إلامَ استند في تقديره أبعاد المبنى. لكن من الواضح أن ما كان ظاهراً في سنة 1965 لم يعد مكشوفاً اليوم. ويبدو أن الأتربة المتراكمة في محيط المبنى وفي داخله، غطّت أجزاء واسعة منه، أو أن حجارته اقتُلعت، كما جرى في كثير من أبنية لفتا بعد النكبة حتى اليوم.

29 البوبرية مبنى طويل له عقد برميلي، وُجد في أغلبية المواقع التي تعود إلى الفترة الصليبية. ولا تُعرف وجهة استخدامه، على وجه اليقين. واعتبره البعض مزرعة أبقار، في حين اعتبره آخرون جزءاً من المباني الإدارية (يوجد نموذج جيد في قرية الطيبة/رام الله). واستمر هذا الطراز من المباني، وشُيد كثير منه، حتى في أثناء الفترة المملوكية، وضمنه نموذج يقع في خربة بيرزيت، القريبة من حرم جامعة بيرزيت.

30 Benvenisti, op. cit., p. 19.

31 Denys Pringle, *Secular Buildings in the Crusader Kingdom of Jerusalem*: *An Archaeological Gazetteer* (New York: Cambridge University Press, 1997), p. 66.

32 http://www.hadashot-esi.org.il/report_detail_eng.aspx?id=1619

33 الهكاريون هم قبائل كردية، تقع ديارهم في شرقي الأناضول. كان لهم حضور بارز في جيش صلاح الدين في فلسطين، واستقر بعضهم في مدينة القدس وأماكن أُخرى من فلسطين.

34 سيناقَش الأمر أدناه في ضوء الوثائق العثمانية، وسيرد تحليل للهكاري هذا، ومعرفة تاريخية الرواية، في سياق النقاش الدائر بشأن المسجد والمقام أدناه.

35 على الرغم من تكرار ذكر الخان في المصادر المملوكية، فإن تحديد موقعه لم يتم على وجه اليقين، إذ إن بقاياه اختفت تماماً. لذلك، هناك مَن جزم بوقوعه قرب محطة سكة الحديد (على بُعد أكثر من كيلومتر إلى الجنوب الغربي من زاوية البلدة القديمة)، أو عند الزاوية الشمالية الغربية لسور البلدة القديمة (برج تنكرد/

جالوت) قرب باب الجديد، أو في ساحة بلدية القدس الغربية الحالية. وجعله آخرون شمالي باب العمود، في حين وضعه البعض الآخر قرب قرية لفتا، أو في موقع مجمع الحافلات المركزي الحالي في القدس الغربية. انظر: كامل العسلي، «من آثارنا في بيت المقدس» (عمّان: الجامعة الأردنية، 1982)، ص 93. كما يقول العسلي إن حجارة الخان استُخدمت في بناء أسوار القدس، على يد السلطان سليمان القانوني، ويعتمد في ذلك، أساساً، على تمثال زوج السباع (رنك/شعار بيبرس) الموجود على باب الأسباط (إحدى بوابات المدينة). وإن كان هناك وجاهة في هذا الادعاء، فليس سهلاً إثباته (المصدر نفسه). كما حدده في الموقع نفسه علي سعيد خلف. انظر: خلف، مصدر سبق ذكره، ص 18. والمثير للاهتمام أن خلف يقدم وصفاً للخان، ونقتبسه هنا لأهميته: «.... خان الظاهر على مدخل قرية لفتا، وهو خان كبير، ومحطة لمن يدخل القدس من الرملة ويافا وعسقلان، إنه استراحة للوافدين والسياح والحجاج.» ومن الواضح أنه لم يشاهد بقايا الخان. ولقد اعتمد، في رأيي، على مصادر مكتوبة أو مروية، بحيث يذكر لاحقاً نص مجير الدين الحنبلي، ورواية للشيخ بدر العجلوني. وينبع اعتقادنا أن خلف نقل المعلومات، ولم يشاهد الخان، من حقيقة مفادها بأنه لم يكن هناك بقايا من الخان، في القرن العشرين، وإلاّ لذكرها الرحالة الذين لم يتركوا شيئاً في منطقة القدس إلاّ ووثّقوه، وخصوصاً ضمن مشروع مسح غرب فلسطين (*Survey of Western Palestine*). واقتُرحت، أخيراً، منطقة الشيخ بدر مكاناً لوجود الخان.

36 مصطفى مراد الدباغ، «بلادنا فلسطين»، تقديم وليد الخالدي (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2018)، الجزء التاسع، ص 181. ويمكن ملاحظة عدم الدقة في تحديد الموقع «خارج البلد»، من دون تحديد أين يقع. وهي سمة مشتركة في كل المصادر والمراجع العربية التي ذكرت الخان.

37 ابن شداد، «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة: تاريخ لبنان والأردن وفلسطين»، تحقيق سامي الدهان (دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، 1962)، ص 237 – 238.

38 ابن عبد الظاهر (محيي الدين)، «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر»، تحقيق عبد العزيز الخويطر (الرياض: عبد العزيز الخويطر، 1976)، ص 220 – 221.

39 ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن)، «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1938)، الجزء 7، ص 121.

40 لا بد من أن هذا الباب كان مميزاً ومزخرفاً بصورة مثيرة، حتى يُنقل من القاهرة إلى القدس، ويثبَّت على مدخل خان بيبرس. ويمكن تخيل شكل الباب، من خلال النظر إلى نماذج الأبواب الفاطمية المعروفة والمعروضة في المتاحف، وخصوصاً أنه كان باباً لقصر الخلفاء الفاطميين. ويدلل هذا الأمر، من جهة ثانية، على أهمية خان بيبرس الكبيرة في القدس.

41 مجير الدين الحنبلي، «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل»، تحقيق محمود الكعابنة (الخليل: مكتبة المحتسب، 2009)، الجزء الثاني، ص 434.

42 ابن كثير (الحافظ أبو الفداء)، «البداية والنهاية» (بيروت: مكتبة المعارف، ط7، 1988)، المجلد 13، ص 242.

43 شريف كناعنة ولبنى عبد الهادي، «لفتا» (بيرزيت: جامعة بيرزيت، سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة، 1991)، ص 9.

44 الحنبلي، مصدر سبق ذكره، ج2، ص 256 – 257.

45 لمزيد من المعلومات عن النقاش الذي دار بشأن موقع خان الظاهر، انظر:
Katia Cytryn–Silverman, «Khan al–Zahir bi–Zahir al–Quds!,» *Journal of the Royal Asiatic Society*, vol. 19, no. 2 (April 2009), pp. 149–171.

46 انظر مقالة ياسر العقبي، «قرية لفتا المهددة»، صفحة عرب 48 (2005/2/12)، على الرابط:
https://www.arab48.com
(تمت زيارة الموقع بتاريخ 2018/1/6).

47 إن الجزء الشمالي من جذر القرية ضم، في الحقيقة، أكثر من 60 مبنىً، بعضها كبير جداً، كما يتضح من خلال الصور الجوية، ودُمرت أجزاء منها، باستخدام المتفجرات، سنة 1948، الأمر الذي يجعل إعادة تصورها كلها في غاية الصعوبة. ويمكننا أن نفترض أن الهدم طال مجموعة من المباني، التي كان من الممكن أن تساهم، بفعالية، في تأريخ مختلف المراحل التاريخية التي مرت على لفتا.

48 العقد البرميلي، هو عقد (سقف) يتقوس على شكل نصف برميل، ويغطي، عادة، قاعات كبيرة، وخصوصاً القاعات المستطيلة الشكل، ووُجد في فلسطين في مختلف العصور. ويمكن مشاهدة نماذج كثيرة لهذا النوع من التسقيف منذ الفترة الرومانية، في أقل تقدير، وتوسّع استخدامه في الفترة الأموية وبعدها، حتى بداية القرن العشرين.

49 مشيح، مصدر سبق ذكره.

50 للحديث عن جذر القرية الحالي، لا عما مر على لفتا من فترات تاريخية، تعود إلى ما قبل ذلك كثيراً، وتم النقاش في ذلك.

51 Wolf–Dieter Hütteroth and Kamal Abdulfattah, *Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the Late* 16*th Century* (Erlangen; Erlanger geographische Arbeiten, 1977), p. 115.

52 هناك ميل جارف لدى مؤرخين كثر إلى أن يعتبروا أن القرن السادس عشر شهد نمواً كبيراً في عدد سكان فلسطين. وإن كان في هذا الأمر بعض الصحة، إلاّ إنه لا يمكن تعميمه، وخصوصاً أن الإحصاءات السكانية بشأن فلسطين في الفترة المملوكية شبه معدومة، في حين أنها توفرت، على نحو مقبول، منذ منتصف القرن السادس عشر، مع وجود كثير من البيانات السكانية منذ مطلع الفترة العثمانية.

53 انظر: محمد البخيت ونوفان السواريه، «لواء القدس الشريف من دفتر تحرير

945 (T.S. 1515) هـ/1538 – 1539م»، (عمّان؛ لندن: مؤسسة الفرقان، 2008)، المجلد 3، ص 21.

54 حتى إن من الطبيعي جداً التنقل الكثيف بين كل أقاليم بلاد الشام. فإن هاجر بعض العائلات من لفتا إلى مكان آخر، وجاءت بضع عائلات واستقرت فيها، فلا يجب النظر إلى ذلك كأن أمراً جللاً حدث، بل هذا أمر معتاد، ولا يجب البحث عن نظريات لتفسيره، إلاّ من باب اعتبار أن فلسطين كانت خاوية من السكان، واكتُشفت في الفترة العثمانية، فاستقطبت سكاناً جدداً عمّروها. صحيح أن بعض الدراسات غير الجدية، والمدفوعة بدوافع أيديولوجية ومصالح سياسية، كُتب في هذا الاتجاه، إلاّ إن سيلاً آخر من الدراسات دحض هذه النظرة الاستعمارية. ويمكن العودة إلى دراسات الباحثة الإسرائيلية روث كارك (Ruth Kark) نموذجاً للدراسات التي تحاول إثبات أن سكان فلسطين مستجدّون أساساً في الفترة العثمانية. انظر، على سبيل المثال، كتابها:

Ruth Kark, *The Land that Became Israel: Studies in Historical Geography* (Yale: Yale University Press, 1989).

55 إبراهيم رابعة، «تاريخ القدس في العصر العثماني في ضوء الوثائق، 1600 – 1700م» (حيفا: مكتبة كل شيء، 2011)، ص 99 – 100.

56 لا تتوفر معلومات عن الأوقاف في الفترة المملوكية، سوى ما ذُكر من الخان والمسجد والمقام، لكن كثافة الوقفيات في الفترة العثمانية، ربما توحي بأن الفترة المملوكية شهدت أيضاً وجود أوقاف في لفتا.

57 تقع الزاوية الخلوتية في القسم الشمالي من البلدة القديمة، في الجهة الغربية لطريق المئذنة الحمراء، قرب عقبة البسطامي.

58 رابعة، مصدر سبق ذكره، ص 223 – 224، 226 – 227، 243 – 245، وذلك على التوالي، بحسب ترتيب الوثائق.

59 لاحظ أن الأوقاف لم تتوقف بعد ذلك، بل استمرت، في أشكال وأحجام متعددة، لكن حصرها يتطلب مراجعة كل السجلات. وما أُدرج هنا نموذج لها، يمكن تعميمه، مع بعض التحفظ على سائر القرون العثمانية.

60 السجل المنشور رقم 150، ويغطي الفترة: 20 ذي القعدة 1054هـ – 19 ذي الحجة 1056هـ الموافقة في 1654/10/2م – 1655/10/20م [كذا].

61 بشأن التاريخ الهجري ورقم كل وثيقة وموقعها في سجل المحكمة الشرعية، انظر، على التوالي، كما ورد أعلاه، رابعة، مصدر سبق ذكره، ص 11، 34، 74، 98، 117، 120، 123، 128، 133، 143، 232، 240، 257، 284.

62 انظر: إبراهيم رابعة، «سجل محكمة القدس الشرعية العثمانية رقم (152): فهرسة موضوعية وزمانية» (رام الله: دار الشيماء للنشر والتوزيع، 2011).

63 يبدو أن المدرسة الصامتية كانت لها أرض موقوفة عليها في برج عرب، بحيث يرد ذلك في وثيقة تعود إلى سنة 1633م. كما أن من المفيد القول إن برج عرب كانت عبارة عن مزرعة جارية في تيمار السباهية، ويشار إليها أيضاً بـ «مال ميري»، أي أنها خاصة بالسلطان. انظر: رابعة، «تاريخ القدس في العصر العثماني...»، مصدر سبق ذكره، ص 293، وكذلك الهامش رقم 5 في الصفحة نفسها.

64 وردت هذه الوثائق في: رابعة، «سجل محكمة القدس الشرعية العثمانية رقم (152)...»، مصدر سبق ذكره، ص 50–51، 53–54، 72، 128، 130، 199، 229، 275، 288، 322، 355.

65 البخيت والسواريه، مصدر سبق ذكره، المجلد 3، ص 51.

66 المصدر نفسه، ص 96.

67 هناك إشارة في سجلات المحكمة الشرعية في القدس إلى وجود وظيفة «التولية على جامع قرية لفتا». وتعود إحدى الإشارات إلى سنة 1149هـ/1736م. انظر: زياد المدني، «أوقاف القدس في القرن الثامن عشر الميلادي 1112 هـ/1700م – 1214 هـ/1799م» (عمّان: وزارة الثقافة، 2011)، ص 55. ولم يكن نادراً اندلاع صراعات بين المتولين على الأوقاف، كما حدث سنة 1714م، الأمر الذي اقتضى تدخل القاضي الشرعي لفض الخلاف، بحيث تم تولية خليل أبو الوفا على أوقاف قرية لفتا. انظر: المصدر نفسه، ص 71.

68 البخيت والسواريه، مصدر سبق ذكره، المجلد 3، ص 61.

69 ضريبة بادهوا، عبارة عن رسوم مختلف المعاملات، مثل رسم الزواج والغرامات... إلخ.

70 محمد عيسى صالحية، «سجل أراضي لواء القدس» (عمّان: زهير الشيخ فارس عورتاني، 2002)، ص 73.

71 تقع الزاوية في حارة السعدية قرب المئذنة الحمراء. عن الزاوية، انظر: محمد غوشة، «حارة السعدية في القدس: دراسة معمارية أثرية تاريخية» (رام الله: مجموعة مشحور للطباعة والنشر، 1999)، ص 279 – 290.

72 صالحية، مصدر سبق ذكره، ص 108.

73 المصدر نفسه، ص 124.

74 المصدر نفسه، ص 148.

75 المصدر نفسه، ص 173.

76 المدني، مصدر سبق ذكره، ص 78.

77 المصدر نفسه، ص 80.

78 التيمار هو قطعة أرض (قرية مثلاً) تُمنح لشخص في مقابل وظيفة معينة. ولا يتجاوز التيمار، عادة، ما قيمته عشرون ألف أقجة. انظر: سهيل صابان، «المعجم المفهرس الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية» (الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، 2000)، ص 76.

79 البخيت والسواريه، مصدر سبق ذكره، المجلد 3، ص 28.

80 محمد البخيت ونوفان السواريه، «لواء القدس الشريف من دفتر تحرير (T.S. 131) 932هـ/1525 – 938 هـ/1531 – 1532م» (عمّان؛ لندن: مؤسسة الفرقان، 2007)، المجلد 2، ص 35، 39.

81 محمد البخيت ونوفان السواريه، «لواء القدس الشريف دفتر مفصل 970 هـ/1562م» (عمّان؛ لندن: مؤسسة الفرقان، 2011)، المجلد 5، ص 153.

82 المصدر نفسه، ص 115.

83 المصدر نفسه، ص 145.

84 نشر الوثيقة المذكورة كامل العسلي، «وثائق مقدسية تاريخية» (عمّان: الجامعة الأردنية، 1989)، المجلد 3، ص 146. ولطرافة هذه الوثيقة ننقلها عن كامل العسلي.

85 انظر المدني، مصدر سبق ذكره، ص 70 – 71. ويذكر المدني (ص 55) أن محمد أبو الهدى الدجاني تولى ربع وظيفة النظر على وقف مسجد قرية لفتا، وتولى عثمان والأمير صالح بن محمد الصالح، الشهير باللحام، ربع وظيفة التولية على وقف المرحوم سيف الدين الهكاري، الموقوف على ذلك نصف قرية لفتا.

86 بشأن آل القاسم، انظر: إحسان النمر، «تاريخ جبل نابلس والبلقاء» (نابلس: جمعية عمال المطابع التعاونية، 1975)، الطبعة الثانية، الجزء الأول، ص 321 – 322. ويذكر النمر أحداث الثورة في الصفحات التي تلي الصفحتين المذكورتين في هذا الهامش. لمزيد من التفصيلات عن آل القاسم وقصورهم وسطوتهم وتحالفاتهم، انظر: سعاد العامري، «عمارة قرى الكراسي: من تاريخ الإقطاع في ريف فلسطين في القرن الثامن عشر والتاسع عشر» (رام الله: رواق، مركز المعمار الشعبي، 2003)، ص 112 – 125.

87 استمرت المعارك حتى برك سليمان جنوبي بيت لحم. وحين مُني شيوخ النواحي بهزيمة هناك انسحبوا إلى مدينة الخليل، حيث تحصنوا داخل القلعة الملاصقة للحرم الإبراهيمي، فدكّها إبراهيم باشا بالمدافع ودمّرها. وهكذا، وجدت هذه الثورة طريقها إلى نهاية درامية. انظر: نظمي الجعبة، «الخليل القديمة: عطر مدينة وعمارة تاريخية» (الخليل: لجنة إعمار البلدة القديمة، 2008)، ص 44.

88 يذكر المعركة وليد الخالدي، في: وليد الخالدي، «كي لا ننسى: قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة 1948 وأسماء شهدائها» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1997)، ص 651.

89 الترنج أو الأترج، نوع من الحمضيات، يشبه الليمون في لونه وشكله، ويفوقه حجماً، لكن قشرته أكثر خشونة، وهو ثمرة مقدسة عند اليهود، يستخدمونه في عيد العرش (المظلات)، بحيث يعتبرونه من أصناف النباتات الأربعة.

90 Titus Tobler, *Zwei Bücher Topographie von Jerusalem und seinen Umgebungen* (Berlin: G. Reimer, 1854), Band I, S. 758–760.

91 قد يعود سبب تكرار ذكر مسجد لفتا، في تقارير الرحالة والباحثين الغربيين في القرن التاسع عشر، إلى أنه كان كبيراً نسبياً، وأن قرى كثيرة لم يكن فيها مسجد، بحيث كانت الصلوات تقام في غرفة لا تختلف عن سائر غرف مباني القرية.

92 Guérin, op. cit., tome 1, pp. 252–256.

93 Conrad Schick, «Zur Einwohnerzahl des Bezirks Jerusalem,» *Zeitschrift des Deutschen Palästina–Verein*s, Band 19 (1898), S. 126.

94 E. Mills, ed., *Census of Palestine*, 1931: *Population of Villages*, *Towns and Administrative Areas* (Jerusalem: The Government of Palestine, 1932), p. 41.

ويجب الأخذ في الاعتبار أن ظهور بعض اليهود (35 يهودياً) والمسيحيين (14 مسيحياً) في هذا الإحصاء، ضمن سكان لفتا، سببه ضم سكان مدرسة شنللر والمناطق المحيطة بها إلى القرية، لأنها بُنيت على أراضيها. وينطبق هذا الأمر على حي روميما.

95 Claude Reignier Conder and Horatio Herbert Kitchener, The *Survey of Western Palestine*: *Memoirs of the Topography, Orography, Hydrography and Archaeology* (London: The Committee of the Palestine Exploration Fund, 1883), vol. III, p. 18.

96 يمثل هذا الرقم، في الحقيقة، أقل من نصف عدد بيوت لفتا في حينه.

97 مستوطنة لليهود الأرثوذكس، بُدئ بناؤها سنة 1874م، شمالي البلدة القديمة.

98 بُنيت مِيا شعاريم على أراضي لفتا سنة 1874، في حين بُنيت مستعمرة شعاريم حيسد، سنة 1909، على أراضي لفتا أيضاً.

99 مجمّع ضخم (نحو 600 دونم)، كان يقع على أراضي لفتا. أسسه الألمان اللوثريون داراً للأيتام سنة 1860م، واستمر في العمل حتى سنة 1940. وكان عبارة عن معهد مدرسي وحِرَفي لتعليم الأيتام العرب، وتخرّج منه عدد كبير من أبناء فلسطين بصورة عامة، وأبناء القدس بصورة خاصة، وكان تأثيره الحِرَفي أكبر من أن يحدَّد في هذه العجالة. وعلَّم الطلاب مهن الخياطة وصناعة الأحذية والنجارة والحفر على الخشب، وصناعة السجاد والحدادة، وصناعة المعادن والفخّار، والرسم والطباعة والبستنة. وأُضيفت إليه مدرسة للمكفوفين سنة 1903. وكان المجمّع يضم كثيراً من المنشآت، منها مخبز ومطبخ وطاحونة هواء، ومصنع بلاط وطوب، علاوة على الحقول الزراعية، بحيث أنتج كثيراً من حاجاته من الخضروات والفواكه، وكان يضم غابة صغيرة طالما تنزّه فيها أبناء لفتا وبناتها. وطردت حكومة الانتداب البريطاني المعلمين الألمان في سنة 1940، وحولت المجمّع إلى معسكر للجيش، وإلى أكبر مخزن للذخائر البريطانية في الشرق الأوسط. وسيطرت عليه عصابات الهاغاناه، بعد انسحاب الإنكليز من القدس، وحولته إلى مركز عملياتها، ثم سيطر عليه الجيش الإسرائيلي، وعُرف بمعسكر شنللر، وذلك حتى سنة 2008. وحُولت، بعد ذلك، أراضيه، التي أصبحت في مركز الشطر الغربي من المدينة، إلى موقع بناء للشقق والمكاتب الفاخرة، بحيث أصبحت أراضيه لا تقدَّر بثمن. بشأن تاريخ مجمع شنللر

ونشاطاته، انظر:

Roland Löffler, «The Metamorphosis of a Pietistic Missionary and Educational Institution into a Social Services Enterprise: The Case of the Syrian Orphanage (1860–1945),» in *New Faith in Ancient Lands Western Missions in the Middle East in the Nineteenth and Early Twentieth Centuries,* edited by Heleen Murre–van den Berg (Leiden: Brill, 2006), pp. 151–174.

100 نقلاً عن موشيه، مصدر سبق ذكره، ص 9–10 (بالعبرية).

101 انظر، على سبيل المثال، ما كتبه الإسرائيليون بشأن ذلك:

أفيفا حلميش، «دراسات عن القدس عبر التاريخ» (القدس: ياد بن تسفي، 1994)، ص 83 (بالعبرية).

وبشأن مشاركة أهالي لفتا في هذه الانتفاضة، انظر أيضاً: عايدة النجار، «لفتا يا أصيلة: خريفية قرية» (عمّان: السلوى للدراسات والنشر، 2015)، ص 326 – 327.

102 بشأن مشاركة أبناء لفتا في ثورة سنة 1936، انظر: كناعنة وعبد الهادي، مصدر سبق ذكره، ص 30 – 33.

103 موشيه، مصدر سبق ذكره، ص 11 (نُقل ذلك عن: زئيف فلنائي، «هيشوفيم بيسرائيل» («المستقرات البشرية في أرض إسرائيل»)، ص 4045 – 4047.

104 Government of Palestine, «Department of Statistics, Village Statistics,» April, 1945, Quoted in Sami Hadawi, *Village Statistics, 1945* (Beirut: Research Center, Palestine Organization, 1970), p. 153.

105 كناعنة وعبد الهادي، مصدر سبق ذكره، ص 23.

106 النجار، مصدر سبق ذكره، ص 112 – 114.

107 يورد أسامة ربيع أسماء كسارات لفتا قبل التهجير، وهي كسارات كل من: الحاج أحمد علي حميدة، نعيم العسس، أحمد صالح إسبيتان، عبد الله رشيد، شحادة أحمد عبد الله وشركائه، الحاج إسماعيل حميدة، الحاج محمود العاصي وأخيه الحاج علي العاصي، محمد سليم معالي. انظر: ربيع، مصدر سبق ذكره، ص 23.

108 يورد أسامة ربيع أسماء أصحاب اللتونات (لطبخ الحجر واستخراج الشيد)، وهي لتونات كل من: صقر شنك، سعيد عدوية، محمد عيسى، شحادة وحسين أبو سعد، أحمد علي حميدة، ربيع الغولة. انظر: المصدر نفسه.

109 عبلة المهتدي، «أوقاف القدس في زمن الانتداب البريطاني» (عمّان: دار مجدلاوي للتوزيع والنشر، 2005)، ص 118.

110 المصدر نفسه، ص 124.

111 المصدر نفسه، ص 128.

112 Government of Palestine, op. cit., p. 57.

113 لاحظ القدرة الاستيعابية الكبيرة للفتا، علماً بأن الأغلبية العظمى من المستوطنين استقرت في البيوت الحديثة، في حين استقر عدد صغير جداً فقط منهم في جذرها التاريخي.

114 تمتلك الوكالة اليهودية 50 في المئة من شركة الإسكان الحكومية الإسرائيلية، في حين يمتلك الصندوق القومي اليهودي 30 في المئة منها، وتمتلك الحكومة الإسرائيلية 20 في المئة الباقية منها.

115 تمت عمليات إجلاء الجذر التاريخي من المستوطنين في الفترة 1955 – 1956، وهي الفترة نفسها التي شهدت بداية قدح فتحات واسعة في أسقف مباني الجذر لمنع استيطانها من جديد. ويعني هذا الأمر أن مخططات تدمير القرية كانت قد وُضعت في حينه.

116 ورد توثيق كل معلومة في النص أعلاه، فلا داعي لتكرار ذلك هنا.

117 يرد هذا الرقم لدى ميخائيل موشيه، نقلاً عن زئيف فلنائي، الذي لا يحدد، بدوره، مصدره. مصدر سبق ذكره، ص 45.

118 انظر: ناثان كريستال، «سقوط المدينة الجديدة، 1947 – 1950»، في: سليم تماري (محرر)، «القدس 1948: الأحياء العربية ومصيرها في حرب 1948» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2002)، ص 117 – 119.

119 بشأن الخطة دالت، انظر: وليد الخالدي، «الخطة دالت»، «مجلة الدراسات الفلسطينية»، العدد 96 (خريف 2013)، ص 303 – 381؛ إيلان بابه، «التطهير العرقي في فلسطين»، ترجمة أحمد خليفة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2007)، ص 49 وما بعدها.

120 تُعتبر معركة القسطل أُولى عمليات تنفيذ الخطة دالت. واستمرت خمسة أيام (4 – 1948/4/8)، واستشهد فيها عبد القادر الحسيني بتاريخ 1948/4/8.

121 انظر: إسحق رابين، «مذكرات إسحق رابين»، ترجمة دار الجليل (عمّان: دار الجليل للنشر، 2015)، الجزء الأول، ص 48 – 52.

122 وليد الخالدي، «دير ياسين: الجمعة 1948/4/9» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003)، ص 11.

123 قُتل في هذا الهجوم من لفتا كل من صقر عبد الرحمن شنك، وعبد الله زهور، وأحمد بكر الشيخ أحمد، وعبد الرحمن عبد الله أبو شلبك، ومحمود أبو سعد، وإسماعيل أحمد حميدة، والحاج صادق المغربي، وأحمد جودة شنك. وجُرح كل من صالح عثمان أسعد، ويعقوب أحمد جودة، وإبراهيم موسى عقل. انظر: النجار، مصدر سبق ذكره، ص 358.

124 انتقلت أغلبيتهم إلى لفتا التحتا، بينما تشتّت الباقون، ومنهم من ذهب إلى المالحة، وقصد آخرون القدس وشعفاط ورام الله.

125 عُرف منها بيت محمود صيام وبيت الحاج عثمان صيام وبيت سليمان الأقرع. انظر:

النجار، مصدر سبق ذكره. يُذكر أن أكثر بيوت اللفاتوة القريبة من الحي المشترك والمتغلغلة داخله، يعود إلى عائلات النجار وأبو طاعة وسعيد وصيام.

126 عارف العارف، «النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود، 1947 – 1949»، تقديم وليد الخالدي (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2012)، الطبعة الثانية، الجزء الأول، ص 72 – 73.

127 لم تجرِ الأمور، بالتأكيد، كما خطط لها الصهيونيون، فأقرب القرى إلى لفتا كانت دير ياسين التي لم يُرحَّل سكانها، بل قاومت مقاومة شرسة وصدّت عدداً من الهجمات الصهيونية، وصمدت حتى 1948/4/9. انظر: الخالدي، «دير ياسين...»، مصدر سبق ذكره، ص 105. كما استمر صمود بعض القرى على الرغم من ضعف الإمكانات والحصار الشديد، فترة تزيد على شهرين بعد مذبحة دير ياسين، وضمنها خمس عشرة قرية صمدت حتى تواريخ متعددة من تموز/يوليو.

128 كريستال، مصدر سبق ذكره، ص 123.

129 المصدر نفسه، ص 124.

130 يمكن متابعة قصص الترحيل واللجوء لدى النجار، مصدر سبق ذكره، ص 369 – 374. وهناك بعض المقابلات المسجلة صوتياً على الرابط:
http://www.palestineremembered.com/Jerusalem/Lifta/ar/index.html# OralHistory
(تمت زيارة الصفحة بتاريخ 2018/9/5).

131 بابه، مصدر سبق ذكره، ص 77 – 78.

132 المصدر نفسه، ص 78.

133 المصدر نفسه، ص 78.

134 Benny Morris, *The Birth of the Palestinian Refugee Problem, 1947–1949* (Cambridge: Cambridge University Press, 1987), pp. 49–50.

135 Ibid., p. 52.

136 Benny Morris, *The Birth of the Palestinian Refugee Problem*, *Revisited* (Cambridge: Cambridge University Press, 2004), pp. 118–121.

137 هناك قائمة بأسماء الشهداء وتواريخ استشهادهم لدى، ربيع، مصدر سبق ذكره، ص 30.